

ابن ماجه والبر تغال

تأليف
الدكتور عبد الهادي التازي

الطبعة الثالثة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



ابن ماجد والبرتغال

د . عبد الهادى التازى

تمهيد

هناك أوجه شبه كثيرة بين تاريخ هذه الجهات : سواء فى خليج عُمان أو فى الخليج العربى ، وبين مثيلاتها سواء على ضفاف البحر المتوسط أو المحيط الأطلسى . ذَكَرَ هذا قبل نحو من سبعة قرون رَحالةً مغربى زار هذه الديار^(١) ... ولم تفتأ إفادته الهامة مهيمنة على كل الذين قرأوا أو كتبوا عن التاريخ الفكرى والاجتماعى والسياسى لهذه المنطقة أو تلك .

وسأضرب منذ البداية أمثلةً لتلك الصلات مما يدخل فى نطاق حديثنا عن مكانة هذا الرجل الفذ الذى يحمل إسم أحمد بن ماجد . إن بعض المخطوطات العربية من التى يعتز بها رجال العلم ، على المستوى الدولى ، ومن التى اختفت نهائياً من المكتبات والخزائن المغربية كانت توجد فى مكتبات عواصم الخليج وبالذات فى مكتبة شهاب الدين بن ماجد الجلفارى الذى قرأها وعلق عليها ، وهذا وحده يعبر جيداً عن الصلات الفكرية التى توجد بين البلدين على تباعدهما .

(١) التازى : الصلات التاريخية بين المغرب وعُمان ، سلطنة عُمان ، وزارة التراث القومى والثقافة ، سلسلة تراثنا ، عدد ٢٢ - المطبعة الشرقية ومكتبتها : مسقط .

وإن بعض « التعويذات والتحويطات » التي كان ابن ماجد يردها وهو يجّهز مراكبه ويوجه تلاميذه عبر الخليجين المذكورين وبحر القلزم والمحيط الهندي ، كانت « نفس الشعار » الذي كان يرفعه الرؤساء البحريون في بلاد المغرب أثناء عبورهم بحر الظلمات أو بحر الروم وبوغاز جبل طارق .. وَلَكَأَنَّمَا كانت هناك اتصالات مسبقة حول فائدة وأهمية تلك « التعويذات والتحويطات » ، وهذا وحده يحتاج إلى دراسات ..

وإذا ما طرقتنا مواضيع أخرى مما لها صلة أيضاً بالمنطقة ، فإننا سنجد أنّ الوجود البرتغالي في هذه الأقاليم كان لا يختلف عنه في أقاليم المغرب سواء في ظروفه أو أسبابه أو نتائجه ، بفارق بسيط : تلك مقصودة لأسماكها ، وهذه مقصودة لبهاراتها^(١) !

ومن هنا كان الخليجيون والمغربيون يتصرفون ولَكَأَنَّمَا كانوا - كما أشرنا - على سابق اتفاق فيما بينهم ، في المقاومة والدفاع أحياناً ، وفي المصانعة والمهادنة حيناً آخر !!

إنّ جلّ الشخصيات البرتغالية التي تردّد ذكرها بالمنطقة هنا ، تردّد ذكرها في تاريخ الصراع المغربي البرتغالي !!

(١) أصبح للبهارات والتوابل من الأهمية مثل ما للبتول اليوم .. ! ومرد تلك الأهمية يعود إلى أن توفير العلف في الخريف والشتاء كان من أصعب الأمور ، فكان الأوروبيون يضطرون إلى ذبح ما لديهم من حيوانات عند دخول الخريف للاحتفاظ بلحومها حين يشتدّ البرد وتشتدّ الأعلاف ، ولما كانت التلاجات لم تخترع بعده ، فقد كانت اللحوم تملح وتُتَبَّل لتبقى صالحة للأكل أطول فترة ممكنة ، كما كانت التوابل والبهارات ضرورية لتلطيف طعم مذاق تلك اللحوم حين أكلها ..

عن التاجر : الريان أحمد بن ماجد ، مجلة (العرب) حلقة أولى رمضان ١٣٩٠ =

لويس كامويس : الشاعر البرتغالى الذى كان يلهب حماس
المقاتلين البرتغاليين بالهند وديار الخليج بما نظمه من قصائد وملاحم ،
كان بسببة المغربية وفيها فقد عينه « اليسرى » على يد أحد المجاهدين
المغاربة الذى رماه بطلقة نارية^(١) !

الفونسو ألبوكيرك : الذى لا تخلوا معظم الوثائق الخليجية
من ذكره على أنه .. وأنه .. وأنه .. كان قبل أن يأتى إلى هنا ، أسيراً
لدى المغاربة لفترة من الزمن فى موقعة جزيرة المليحة (La Graciosa)
حيث شاهدنا أن الجيش المغربى يحاصر الجيش البرتغالى فى يولييه
١٤٨٩ = شعبان ٨٩٤ فى الجزيرة المذكورة إلى أن خضع البرتغال
لإبرام اتفاقية ٢٧ غشت ١٤٨٩^(٢) !

أريد التأكيد على القول بأن تاريخنا مشترك وأن أحداً لا يمكنه
أن يتحدث حول برثلميو دياز (DIAZ , Bartolomeu)
وفاسكو دى غاما وكامويس وإلبوكيرك ، دون ما أن يتحدث
عن سببة ويتحدث عن المحيط الأطلسى ، وأن أحداً لا يمكنه أن
يتحدث عن الوجود البرتغالى فى المشرق دون ما أن يجد نفسه مشدوداً
إلى الحديث عنه بالمغرب !

وأحبّ أن أذكر فى هذا الصدد بمعركة تاريخية وقعت فى المغرب ،
اهتزّ لها عُمان طرباً وفرحاً قبل أن يرتجّ العالم كله لسماعها ، ويتعلّق
الأمر بالوقعة التى اصطدم فيها الجيش المغربى بالجيش البرتغالى

(١) Michel Mourre : Dictionnaire d'histoire Universelle T . I . P . 330

(٢) Wolter de gray Birch : (London 1774, The Hakluyt Sociètey .)

ALFONSO ALBOQUERQUE P . 216 — 217

عام ٩٨٦ = ١٥٧٨ حيث شاهدنا - في ظرف ساعاتٍ
معدوداتٍ - مصرع ملك البرتغال دون سباستيان في أرض المغرب
على مقربةٍ من مدينة القصر الكبير ! وحيث رأينا أن الشاعر المبدع أبا
فارس عبد العزيز القشتالي يقف ليهنيء العاهل المغربي السلطان أحمد
المنصور السعدى بقصيدةٍ نونيةٍ طويلة يقول وهو يشير لأثر الوقعة في
نفوس المغلوبين على أمرهم ، سواء على شط الفرات أو على شط خليج
عُمان ، يقول من جملة ما يقول حول تلك المعارك :

مِنَ اللَّائِي جَرَّ عَنِ الْعِدَا غُصَصَ الرَدَى
وَعَقَّرَن فِي وَجْهِ الثَّرَى وَجْهَ (بستان)
فَكَمْ هِنَأَتْ أَرْضَ الْفِرَاتِ بِكَ الْعُلَى
وَوَافَتْ بِكَ الْبُشْرَى لِأَرْضِ عُمان^(١) !

إن الذين قالوا هذا الشعر ، وأن الذين قيل فيهم هذا الشعر كانوا
يعرفون جيّداً عن صلة المغرب بِعُمان وأرض الفرات ، ويعرفون
أن الصيحة هنا تعكس بصداها على الأرجاء هناك !

ومن العجب حقاً أن المؤرخين العرب - على كثرتهم - لم يشيروا
من بعيد أو قريب لعلاقة معركة نوادى المخازن في المغرب الأقصى بنهاية
الإستعمار البرتغالي في الشرق وبخاصة في منطقة الخليج العربى وخليج
عمان ..

(١) الناصرى : الإستقصاء ٥ ر ١٦١ طبعة الدار البيضاء ١٩٥٥ . د. التازى :

تجاوب الأدب المغربى مع نوازع الخليج : منشورات مركز دراسات الخليج العربى ،
الكتاب الأول ١٩٧٧ ص ٤٧ .

وأعجب من هذا أن نرى المصادر التاريخية التركية بما فيها المصادر المعاصرة ظلت تتجاهل آثار تلك المعركة الحاسمة على نهاية الوجود البرتغالي في المنطقة بالرغم من أن الدولة العثمانية كانت تعرف أكثر من غيرها عن الأثر المهول الذي خلفه مصرع دون سباستيان في الساحة الدولية برمتها^(١) !

مؤرخ أمريكي واحد هو الزميل العميد روبرت ج . لاندن (R.G-Landan) من جامعة تينسي ، نوكسفيل (Tennessee, Knoxville) الذي أستاذ من دون سائر المؤرخين لينبّه إلى دور المغرب في كسر شوكة البرتغال في الخليج^(٢) ..

ولابد أن أذكر هنا - تكملة لكل هذا - أن تحرك العثمانيين في هذه المنطقة كان له نفس الآثار ونفس المضاعفات التي كانت له عندما تحرك العثمانيون في بلاد المغرب .. وأن بعض الذين كتبوا عن العرب هنا وعن موقفهم من الحكم التركي كانوا يقصدون أيضاً إلى العرب هناك وموقفهم من الحكم التركي كذلك^(٣) !

وهكذا يتجلى أننا نعيش تاريخاً مشتركاً ونكتب تاريخاً كذلك مشتركاً : حادث ما على خليج عُمان مثلاً يعكس صدها هناك

(١) د . صالح أوزبران ، جامعة اسطنبول : الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١ ترجمة وتعليق د . عبد الجبار ناجي ، جامعة البصرة ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، سلسلة رقم ٢٧ - مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٧٩ .

(٢) روبرت ج . لاندن : عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصبيراً ، ترجمة محمد أمين عبد الله ١٩٦٦ سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ص ٢٧ .

(٣) القصد إلى النهروالي على ما سنرى .

على خليج طنجة ، وحادث ما على مقربة من المحيط يكون له أثره في ما وراء أطراف الخليج .. ولو أن مؤرخينا القدامى - وربما بعض المعاصرين كذلك يهملون - كما أشرنا - مع الأسف - التركيز على مثل هذا « التشابك » الذى يعتبر فى نظرنا معبراً عن حقائق لا يجوز التغاضى عنها ..

ذكرت كل هذا لأؤكد على أن عامل بعد المسافة بين الخليج والمحيط لم يكن شيئاً يذكر أمام الوشائج المتينة التى تجمع بين جناحي المشرق والمغرب .

وفى ختام هذا التمهيد لأبّد أن نلاحظ عن الظاهرة الغير المحببة التى كانت مثار شكوى سائر الذين يهتمون بكتابة تاريخ العرب إن فى المغرب أو المشرق ، لقد دأبنا - وهذا أمر يجب الاعتراف به - على إهمال تاريخنا وخاصة منه التاريخ الدولى .. يقف أمامى عدد من الأمثلة لذلك الإهمال الذى نشعر معه بفراغ مهول فى مسيرتنا الطويلة ، بل إننا أحياناً نجد أنفسنا أمام تصرف أكثر خطورةً وأعظم وزراً من الإهمال : إنه التشغيب والتخريف للتاريخ وإنه التلبيس والتزوير للأحداث .. !

وفى نظرنا أن ذلك الإهمال أو هذا « التشغيب » أولى بالتصدي له ، إنَّ المُهمَل محايّد مسالم فى أكثر الحالات لكنَّ المشغَّب يتخذ موقف المغرض الذى لا يقل ضرراً عن المفترى والمعتدى !

وفى هذا الصدد ينبغى بل يجب أن لا تُخيفنا كُنَى وألقاب المهملين أو المخربين ، ويجب أن نظلّ مشدودين إلى الحقيقة وحدها .. !

مكانة ابن ماجد !

في الوقت الذي عرف فيه الغرب الإسلامي فترة ركود في النشاط البحري نتيجةً للحصار المحكم الذي فرض عليه من لدن الأساطيل الأجنبية التي هيمنت على الممرات المائية في المنطقة^(١) ، كان يلوح في أفق المشرق العربي قَبَسٌ يضيء مجاهل المحيطات والبحار بما كان يتوفر عليه من خبرة ودراية ، ونعني بذلك شخصية ابن ماجد التي حلّقت في سماء المعرفة وبرزت في ميدان الاختراع والإبتكار والتأليف . نحن اليوم نخلق مع شخصية أعطت المثل على أنها قدوة في السلوك والخلق الرفيع .. إنه ابن ماجد العالم الذي أطلع على عدد من المؤلفات ، وقام بتجربة طويلة في الملاحة البحرية قبل أن يقدم لنا هو حصيلته العلمية في أزيد من خمسة وثلاثين كتاباً كلّها مطرف ومفيد !! ابن ماجد الذي لم يكن إمعةً يكتفى بترديد ما قاله الآخرون ، ولكنه كان يدرس وَيَتَّقِد وَيُعْطِي وَيَأْخُذ .. إنه « رابع الثلاثة » كما كان يتحدث عن نفسه اعتزازاً وفخراً^(٢) .

لقد ظل إسم ابن ماجد على ألسنة البحارة في خليج عمان والبحر الأحمر والمحيط الهندي قروناً عديدةً بعد وفاته حتى أن السير ريتشارد بورتون (Sir Richard Burton) يذكر في كتاب : الخطوات الأولى في شرق أفريقيا (First Footsteps in East Africa) أنه لما أبحر من عدن عام ١٨٥٤ تلا البحارة سورة الفاتحة ، قبل الإقلاع ترحماً على روح الشيخ ابن ماجد !

(١) ابن خلدون : المقدمة طبعة بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٢) القصد إلى ابن شادان وابن أبان وابن كهلان على ما يقوله في كتابه

« الفوائد » .

ليس موضوع حديثي اليوم تقييم نظريات ابن ماجد حول الممرات المائية التي تصل بين الأوقيانوسات ، ولا عن أسلوبه التجريبي الذي اختلف فيه عن سائر الملاحين الذين يكتفون بالعروض النظرية .. فقد تصدّى لذلك المهتمون بأمر الملاحة .. من الذين أثنوا جيداً على معلومات بن ماجد وقدروا مصداقيتها .. ولكن الذي استوقفني ويستوقفني حقاً هو أن أقرأ عن مؤلف لا تفصل بين أيامه وبين أيام ابن ماجد سوى نحو من ستّ وسبعين سنة ، أقرأ عنه يقدم تلك المعلمة الكبرى بعبارَةٍ ناشفة تافهة .. !

خبر النهروالى عن ابن ماجد

إن الأمر يتعلق بقطب الدين النهروالى (ت ٩٩٠ = ١٥٨٢) في كتابه (البرق اليماني في الفتح العثماني)^(١) .. هناك ، وفي معرض الحديث عن وصول البرتغالي إلى ديار الهند قدّم لشهاب الدين أحمد ابن ماجد على أنه « شخص » ! وهذا تعبيرٌ نستعمله عندما نتحدث عن نكرة من النكرات ! ولَكأنما شعر النهروالى بأن كلمة « شخص » لا تفيد أكثر من مدلولها ، فأضاف إليها جملة نعتية هكذا : (يقال له أحمد بن ماجد) ، فكانت هذه الجملة النعتية أيضاً مما كشف عن مدى « عواطف » النهروالى حيال ابن ماجد !! إن كل ما يعرفه النهروالى عن ابن ماجد أنه « شخص » يُدعى كذا ! أى إنه (هيّان بن يّيان) كما يقول المثل العربى ..

(١) من منشورات دار البمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض المملكة العربية السعودية ، وقد أشرف على طبعه أستاذنا الجليل الشيخ حمّد الجاسر ضمن سلسلة نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

إن مجرد هذه الجملة القصيرة من التّهروالى كافية بالنسبة للذين يقيّمون معلوماته حول أحداث ورجالات لا يفصله عنها في المكان والزمان كبير فرق !!

إن ذلك الصّرح الشاخ الذي كنا ننتظر من النهروالى أن يتنازل ويقدمه إلينا - على الأقل - منسوباً لأجداده معروف البداية والنهاية .. لم يكن في إفادة النهروالى غير « شخص يقال له فلان » . من هنا أبدأ .. ومن هنا سأنتقل مع المعلومات التي قدّمها النهروالى .. وخاصةً منها ما يتصل بأخبار البرتغال وصلتهم بالملاح العربي ، يقول النهروالى :

« وقع في أول القرن العاشر (١٤٩٥ م) من الحوادث الفوادح النوادر دخول (الفرتقال) اللعين ، من طائفة الفرنج الملاعين ، إلى ديار الهند وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبّنة في البحر ويلجئون في الظلمات ويمرون بموضع قريب من جبال القمر^(١) .. وهو مادة

(١) جبال القمر هي التي يطلقها الجغرافيون العرب القدامى على السلسلة الجبلية التي ينبع منها النيل وهي غير (جزر القمر) الواقعة بين مدغشقر (الواقواق) منفى الملك محمد الخامس رحمه الله وبين الموزامبيق شرق افريقيا في المحيط الهندي .

المسعودي : مروج الذهب ، النص والترجمة ، باريز ، المجلد الثاني المطبعة الملكية ص ٣٦٠ / ٣٦١ معجم البلدان ، مادة القمر ، شكيب أرسلان : جزائر القومور ، حاضر العالم الإسلامي ج ٣ ص ١٤٢ .

عبد الرحمن بدر الدين : العرب في افريقيا ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، مارس ١٩٨٠ د . أحمد رمضان شقليت افريقيا ، مجلة الفيصل ، الرياض عدد ٥٣ السنة الخامسة ذور القعدة ١٤٠١ = شتنبر ١٩٨١ .

أصل بحر النيل ، ويصلون إلى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل ، في مضيق أحد جانبيه جبل ، والجانب الثاني بحر الظلمات ، في مكان كثير الأمواج ، لا تستقر به سفائنهم ، وتنكسر ، ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون في ذلك المكان ، ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند ، إلى أن خلص منهم غُراب^(١) إلى الهند ، فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر ، يقال له أحمد ابن ماجد ، صاحبُه كبير الفرنج ، وكان يقال له (الْمَسْنَدِي)^(٢) وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتَوَغَّلُوا في البحر ، ثم عودوا

(١) الغُراب : نوع من السفن البحرية السريعة قابلوه في اللغة البرتغالية بكلمة كرافيل .. وتجمع الكلمة على غُربان أو أغربة .. وأن الذين يهتمون بتاريخ الأساطيل الإسلامية لأبد وأنهم سيقفون على العديد من الشعر الذي يتضمن الإشادة بالغربان . أنشد أبو عمر بن حربون في السيد الأعلى أبي حفص (القرن السادس الهجري) :

بَحْرٌ كَانَ أَبَا حَفْصٍ بِصَهْوَتِهِ لِقَمَانٍ وَالْمَرْكَبُ الْجَارِي بِهِ لُبْدٌ
تَعْجَبُوا مِنْ غُرَابٍ فَوْقَ غَارِبَةٍ ثَهْلَانِ ذُو الْهَضْبَاتِ الشَّمُّ أَوْ أَحَدُ!!

ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة على المستضعفين : تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت ١٣٨٣ = ١٣٦٤ = ١٩٦٤ ص ٢٥٥ .

(٢) لقب - كما يقول ابن خلدون في المقدمة - يُعْطَى لرئيس الأسطول في اصطلاح الإفرنجية بينما يذكر فانسان مونطى أن الكلمة الفرنسية « أميرال » آتية من اللغة الإسبانية (Almirante) المحرفة عن الاسم العربي : أمير البحر ..

Al - Muqaddima

. Traduction Nouvelle, Préface et note par Vincent Monteil

SindBad T . 2 P . 517 .

د . التازي : الأسطول المغربي عبر التاريخ ، مجلة البحث العلمي عدد ٢٣ ص ٢١

. ١٩٨٣

فلا تنالكم الأمواج ، فلماً فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند ، وبنوا في كوة قلعة .. ثم أخذوا هرموز وتقووا هناك ، وصارت الأمداد تترادف عليهم من البرتغال .. هكذا يبدو النهروالى وكأنه قليل المعرفة بل عديمها بذلك الشخص الذى يقال له ابن ماجد ، أكثر من هذا التجاهل تطوُّع النهروالى من تلقاء نفسه باعطاء خبر عن مساعدة ابن ماجد للبرتغال لم يقرأه أحد فى أى مصدر من المصادر التى اهتمت بتاريخ منطقة الخليج !

نقول فى أى مصدر ونحن نعنى المصادر العربية ، والمصادر التركية والمصادر الهندية ، والمصادر البرتغالية ..

فحول المصادر العربية نرى أن كل الذين تناولوا هذه الفترة من التاريخ لم يدر بخلد أحد منهم أن يتقول على أحمد بن ماجد على ما سمعناه عن النهروالى بما فى ذلك المصادر المعاصرة للحدث ، بما فى ذلك مؤلفات سليمان المهرى .

أما عن المصادر التركية - وخاصة القديمة - فقد افترضت أن يكون النهروالى إنما كان مترجماً لما وجدته فى المؤلف المنظوم باللسان التركى الذى قدمه إليه القائد سنان باشا فاتح اليمن ليعتمد عليه فى كتابه « البرق اليمانى » ، ذلك المؤلف الذى يحمل عنوان تاريخ فتح اليمن لأمرير اللواء السلطانى مصطفى بك الرموزى^(١) ، لكننى

(١) على التاجر : الربان أحمد بن ماجد ، دفاع أو تقييم الحلقة ٣/٢ من ست حلقات نشرتها مجلة العرب ، السنة الخامسة (رمضان ١٣٩٠ هـ = نوفمبر ١٩٧٠ ، إبريل ١٩٧١ م) جريدة الاتحاد (الامارات المتحدة عدد ١٩ نوفمبر ١٩٧١) . حسن =

بعد الوقوف على نقول المصادر التركية الأصيلية من أمثال كتاب « المحيط » للأميرال التركي سيدى على شلبى (ت ٩٥٩ - ١٥٥٢) الذى كُتب بعد ابن ماجد - فقط - بنحو خمسين سنة والذى أثنى ثناءً جمّاً على شخصية ابن ماجد ، تأكّدت من أن ابن ماجد كان فوق أن تمسه تُرّهات النهروالى . لقد كانت مهمة سيدى على بالدرجة الأولى أن يطرد البرتغال من الهند . ولو كان يعلم أن ابن ماجد كان له أدنى ضيلع فى مساعدة البرتغال لما أوسّع بذلك الشناء العاطر^(١) .

ولم أقتصر على التأكد من براءة ابن ماجد ، بل اننى وصلت إلى فكرة سأتعجل بإثارتها : وهى أن النهروالى (ت ٩٩٠ = ٥٨٢) استمدّ معلوماته عن وصول البرتغال فى أول القرن التاسع وتخطب أسطولهم فترة من الزمن إلى أن تمكن من مراكبهم من بلوغ الهند ، قبل وصول دى كاما .. استمدّ تلك المعلومات من إحدى مخطوطات ابن ماجد ، وهى (السُفالية) الآتية الذكر .. إذ لا يعقل أن يستفيد الأميرال التركى شلبى من آثار ابن ماجد ثم لا يعرف النهروالى عنها شيئاً مع ما عرفنا عن صلته الوطيدة بالأترك !!

أنا ما أزال أنتظر من الأستاذ الشيخ حمد الجاسر ، أمد الله
= صالح شهاب : أضواء على تاريخ اليمن البحرى دار العودة . بيروت ، طبعة ثانية ١٩٨١/٢/١٥ ص ٢١٧ .

G . R . Tibbetts arabe Navigation London 1981 p . 1011 .

د . أمين الطيبي : الملاحة البحرية ، مجلة العربى (الكويت) صفر ١٤٠٤ = دجنبر ١٩٨٣ .

(١) د . أنور عبد العليم : الفوائد فى أصول علم البحر والفوائد - مجلة العرب ، سنة رابعة جزء تاسع ، ربيع الأول ١٣٩٠ سنوية ١٩٧٠ .

في عمره ، وأن يقوم - تكميلاً لعمله الرائد بنشر البرق اليماني -
بمتابعة النهروالي حول المصادر التي استقى منها « برقة »^(١) ..
أما عن المصادر الهندية ، القديم منها والحديث ، فإنه يتأكد لدينا
من خلال الاستقصاءات المقدمة أن أحداً من المؤرخين الهنود لم تسمح
له نفسه أن يتحمل وزر اختلاق فرية في مثل ذلك الحجم
عن شخصية عظيمة في مثل مركز ابن ماجد .

وعن المصادر البرتغالية التي تهمنا كثيراً فإننا نجد على رأسها
المؤلفات المعاصرة ، تقريباً ، لحركة فاسكو دي كاما .. ونستطيع
من الآن أن نقول إنه لا يوجد منها مؤلف برتغالي واحد ذكر إسم
ابن ماجد ولو بشكل محرف ، بل ما قرأنا في تاريخ كاستا نهيدا^(٢)
(Gastanheda) ، طبعة ١٥٥٢ ، وكتاب كويش (Goes)^(٣) طبعة
١٥٦٦ أنه المعلم (كاناكا Malemo Ganaqua) ، كما قرأنا في كتاب
باروش ١٧٧٧ (Barros) اسم المعلم (كانا Gana)^(٤)

وقبل هذا التاريخ وقفنا على إلياذة الشاعر كامويس المطبوعة

(١) يلاحظ أن النهروالي كان يتجاهل عدداً من المصادر التي اعتمدها من ذلك
مثلا مروج الذهب للمسعودي الذي يتحدث عن منابع نهر النيل ..
(٢) يحمل كتاب كاستا نهيدا عنوان :

‘Historia do descrobimento e conquista d india’

ليشبونة : (طوري دو طومبو) ، ومعلوم أنه نشر عدة مرات .

(٣) ذكر هذه المعلومات كويش في الفصل ٣٨ من كتابه المعنون هكذا :

‘Ghronica de serenissimo Rei D . Manuel’

وقد نشر هذا الكتاب عدة مرات ، وتوفر على طبعة ١٥٦٦ ، وطبعة ١٦١٩

مصورة كذلك عن الأرشيف الوطني في لشبونة « طوري دي طومبو » .

(٤) الكتاب يحمل عنوان : ‘Asia de João ae Barros’

عام ١٥٧٢ ، وهى تتحدث - كما سنرى - عن ربّان يحمل اسم ميلمدانو (Melmdano)^(١) .

وفى معرض حديث باروش عن التجار الهندوس الذين وردوا على فاسكودى كما فى ماليندى قال باروش « لقد أقبل معهم أحدهم (Maure) من كجرات يحمل إسم (كانا) فإنضمَّ إلى صحبة رجالنا يلتمس المتعة والسلوان بقدر ما كان يتوسل لارضاء حاكم ماليندى الذى كان - بالصدفة - يبحث عن ربان يرشد البرتغاليين .

وهكذا وقع الاختيار على هذا الكجراتى الذى نال إعجاب دى كما .. فكانت له معه مذكرات حيث تبودلت المعلومات والخرائط والأجهزة العلمية .. » إلى آخر ماورد فى هذه الإفادة التى تؤكد أن المعلم (كانا) هذا أبحر فعلاً مع دى كما يوم ٢٤ أبريل ١٤٩٨ .

لقد قصدت أن أجعل خطأً تحت السطر الذى يذكر أن ذلك الوارد على فاسكو كان يبحث عن « المتعة » من جهة ، ويتوسل « للخدمة » من جهة أخرى ، لأنَّه من الآن إلى أن تلك الأوصاف لا تنطبق إطلاقاً على ابن ماجد وإنما تنطبق على من كان يحمل إسم (كاناكا) !!

والعجب من فيزان حيث رأيناه « يزعل » على المؤرخين البرتغاليين القدماء الذين لم يذكروا إسم ابن ماجد بالذات ، إنَّهم بثلاثتهم :

DECADA I. LIV. IV. CAP. VI. 319

to maior acatamento; e como gente que se delectava na vista daquella imagem, logo ao outro dia tornáram a ella, offerecendo-lhe cravo, pimenta, e outras mostras de especiarias das que vieram alli vender, e se foram contentes dōs nossos pelo gazalhado que recebêram, e maneira de sua atloração: tambem elles ficáram satisfeitos do seu modo; parecendo-lhes ser aquella gente mostra de alguma Christandade, que haveria na India do tempo de S. Thomé, entre os quaes vinha hum Mouro Guzarate de nação chamado Malemo Cana, o qual assi pelo contentamento que teve da conversação dos nossos; como por comprazer a El-Rey, que buscava Piloto pera lhe dar, acceptou querer ir com elles. Do saber do qual Valco da Gama, depois que praticou com elle, ficou muito contente, principalmente quando lhe mostrou huma carta de toda a costa da India arrumada ao modo dos Mouros, que era em meridianos, e parallellos mui miudos sem outro rumo dos ventos; porque como o quadrado daquelles meridianos, e parallellos era mui pequeno; ficava a costa per aquelles dous rumos de Norte Sul; e Leste Oeste mui certa, sem ter aquella multiplicação de ventos, d'agulha commum da nossa Carta, que serve de raiz das outras. E amostrando-lhe

Val-

صورة من كتاب باروس طبعة ١٧٧٧ عن نسخة الارشيف الوطنى بلشبونة
(طورى دوطومبو).

E=D

OS LUSIADAS DE L. DE CA.

Assi mesmo a fermosa Galatea

*Dizia ao fero Noto, que bem sabe
Que dias ha que em vella se recrea,
E bem cre que com elle tudo acabe,
Não sabe o brauo tanto bem se o crea,
Que o coraçam no peito lhe não cabe,
De contente de ver que a dama o manda,
Pouco cuida que faz se logo abranda.*

De sta maneira as outras amansauam

*Subitamente os outros amadores,
E logo aa linda Venus se entregauam,
Amansadas as iras e os furores,
Ella lhe prometeo vendo que amauam
Sempiterno fauor em seus amores,
Nas bellas mãos tomando lhe omenagem
De lhe se rem leais esta viagem.*

La a manham clara daua nos outeiros,

*Por onde o Ganges murmurando soa,
Quando da celsa gauea os marinheiros
Enxergar ao terra alta pella proa,
La fora de tormenta, e dos primeiros
Mares, o temor vão do peito voa,
Disse alegre o Piloto Melindano,
Terra be de Calecu, se não me engano.
*Esta**

Depois de feitas suas çerimónias lhe tornou de nouo a pedir q̃ quise ir ver seu pai, q̃ por ser muito velho, & entreuado nam podia fazer ho mesmo, & que pera segurança disso elle se iria có seu filho peràs naos, do que se Vasquo da gama excusou, dizendo q̃ não trazia liçença del Rei, seu senhor pera ho fazer. Entretanto q̃ estas praticas passauam, así da cidade, quomo das nossas naos, & das dos Christãos Indios, & doutras, & dos bateis tirauã muitas bombardadas, & lançauão foguetes, ho que durou até se ho Príncipe recolher pera hos paços, ho qual todo ho tempo que alli esteve ha armada mandou visitar Vasquo da gama, & hos outros capitães com refresco da terra, allé do que lhe deu hum bom Piloto mouro guzarate, per nome Mallemocanaqua, & com ho muito delejo que tinha de nossa amizade, tomou a fé a Vasquo da gama que tornasse per alli, porque em sua companhia queria mādā hū embaixadora el Rei de Portugal, pera com elle assentar paz, & amizade, com ha qual, & muito amor dos da terra partirão hos nossos daquella cidade de Melinde hūa terça feira xxiiij, dias Dabril, deixando posto hū padrão na praia a que poseram nome sancto Spirito. Seguindo así sua viagem pelo gulfam que se fiz da cōsta de Melinde, até ha do Malabar, a hūa sexta feira xvij dias de Maio virão

hūa terra alta, ha qual ho piloto Canaquā não pode bem conhecer, por ho tempo andar encuberto com chuueiros: mas aho Domingo seguinte pela manhã viu hūas serras que estāo junto da cidade de Calecut, do que logo pediu aluissaras a Vasquo da gama que lhas deu boas, & de boa vōta de, louuando todos a Deos polos ter guiados a lugar que tão tempo hauia que andauão buscando, fazendo por isso grandes festas, & alegrias com has quaes, & có has naos embandeiradas a som de tróbetas, no mesmo dia depois de jentar forão surgir duas legoas da cidade de Calecut, tam contentes quomo se já tiueram feito fim de seus trabalhos, & estiueram surtos diante da cidade de Lisboa, donde hauia onze meses que partiram.

Capitu. xxxix, Do que VASQVO DA GAMA FEZ depois que surgio, & do recado que mādou a el Rei de Calecut.



MHAS NAOS LANÇANDO ancora chegaram a ellas alguns barcos, de que hos nossos compraram refrescos da terra. Destes soube Vasquo da gama que não era aquelle ho surgidouro de Calecut, offereçendolhe que ho leuarião

E ij la,

estaria agrauado dele porque não quisera ir a terra: e quereria q̄bzar a amizade que tinham assentado/ e pesauathe disso/ porque ainda não tinha pilotos. E quando viu q̄ a q̄le seu criado lhos não leuaua teue má sospeita del rey, e por isso lho deteu. E sabendo el rey a causa disso, mādoulhe logo hū piloto guzarate chamado Canaqua/ desculpādose delho não ter mandado: e assim ficarão amigos como dantes.

Cap. xliij. De como partido Vasco da gama de Melinde chegou a Calicut, e da grãdeza e nobreza desta cidade.



Drouido Vasco da gama de todo ho necessario pa sua viagē, partio se de Melinde pa Calicut hūa terça feira .xxliij. de abril, e dali começou logo a traueſsar hū golfão de setecētas e cincoēta legoas/ porq̄ faz ali a terra hūa muyto grãde enseada, e corre a costa de norte a sul: e Vasco da gama foy em leste a demādar a Calicut. E logo ao domingo seguinte virão os nossos ho norte/ que autamuyto q̄ deixarão de ver, e vião ho sul. E deulhes deos tão boa vettura que fazendo ja roſto ho inuerno da India/ pelo q̄ faz naq̄le golfão grãdes tormentas, ele não achou neabūa, antes v̄to a popa. E hūa ſexta feira q̄ forão dezasete de Mayo, ouēdo v̄ntes q̄ era partido de Melinde, e q̄ não vião terra/ ouuerão vista dela/ indo a frota oytrole goas ao mar, e a terra era alta: e lo

go Canaqua deltou ho primo e achou corēta e cinco braças e por se arredar desta costa/ como foy noyte se fez bocaminho ao ſueste, e ao sabado a foy demādar: e não se chegou tão a ela que podesse auer perſeyto conhectimēto dela, e isto pelos muyto chuuelros que acharão deſpols q̄ virão terra, que era ja inuerno na India, cusa costa esta era. E ao domingo vinte de Mayo viu ho piloto hūas serras muyto altas q̄ estā sobre a cidade de Calicut, e che gouſe tão a terra que as conheceo e com muyto prazer pediu aluſſaras a Vasco da gama: diſcendo que aquela era a terra q̄ deſejaua de chegar, e ele lhas deu/ e logo mādou dizer a Salue, o de todos derāmuytos lououres a noſſo Senhor, e forão feytas grãdes alegrias nos nauios: e no meſmo dia a tarde forão ſurgir duas legoas abaixo de Calicut, legoa e mea da costa, deſfrōte de hū lugar chamado Capocate, com que ſe ho piloto enganou, cuy dādo q̄ era Calicut. E ſurta a frota acoadio logo gente de terra em quatro almadias a ſaber q̄ naos erão aqueilas, porq̄ nūca virão outras daq̄la ſelção/ nē ſe em tal tēpo a aq̄la costa. E esta gēte vinha nua/ ſaluo q̄ cobzião ſuas vergonhas com hūſ pequenos panos/ e erão baços/ e algũs ētrarão na capitaina. E ho piloto Guzarate diſſe a Vasco da gama que aquella gente erão peſcadores/ e que era gente meſquinha/ que aſſi chamam na India a gente baixa e pobre. E toda via elle lhas fez gaſalhado e lhas mandou comprar peſcado q̄ trazião: e deles

كويش ، وكاستنيديا وباروش ، أو بالحرى المصادر التى أخذوا عنها ، كلهم ارتكبوا خطأ لا لبس فيه ! ولو أنه - أى فيران - يعترف بأنه عاجز عن تفسير ذلك الخطأ !! إنه تعسف غريب وإصرار عجيب !

عادة البرتغال فى الكشف عن أسماء مساعديهم بالمغرب والمشرق :

بالرغم مما نلاحظه عن عدم تدقيق التقارير البرتغالية لأسماء حكام المناطق التى يزورونها .. موزامبيق ، مالىندى .. لكن أسماء المرشدين تظل منقوشة فى مخيلة المقررين لأنها تلازمهم لفترة طويلة .. على نحو ما رأينا فى إسم « Moncaide » أو ابن سعيد الذى عاد مع فاسكو دى كاما إلى البرتغال (١) ..

ونحن فى المغرب ابتلينا كذلك بالغزو البرتغالى ، تقريبا فى نفس الفترة وفى نفس الظروف وقد كان فى صدر ما اعتدناه من هذا الإستعمار أنه لا يتردد فى إعطاء أسماء الذين ساعدوه أو الذين تعاونوا معه ، يرون فى ذلك مفخرة لهم من ناحية ، ومن جهة أخرى فإن ذلك من شأنه ان يستدرج الآخرين من ضعفاء الإرادة ويدفع بهم إلى التنافس فى تقديم المزيد من المساعدات للأجانب !

عرفنا هذا فيهم واعتدناه ، ومن هنا حفظنا أسماء مغربية ظلت معروفة عبر الأجيال من أمثال : أوتا عفوفت وبن فرعون وبن واشيمان ، وميمون .. عن طريق التقارير البرتغالية أيضا عرفنا أسماء

J . F . Rolland : Les Portugais à la conquete de l' Asie , (١)

1956 , 262 P . club Français du Livre.

هؤلاء ، وبالرغم من أنها أسماء صعبة في النطق البرتغالي وليست سهلة كإسم (بن ماجد) لكنهم تطقوها وكتبوها ، عن طريق تلك التقارير عرفنا المعلومات الدقيقة التي كانت تتصل بشخصيات مغربية أخرى كان لها ذكر في تاريخ العلاقات البرتغالية المغربية ، ويتعلق الأمر بالسلوخ وباينه اللذين لعبا دوراً مهماً في إغراء البرتغال ببلادنا^(١) ..

أريد أن أقول أنه لو كانت هناك ذرة من علم هؤلاء البرتغاليين عن إسم آخر غير كانا أو كاناكا لذكروه على نحو ما رأيناهم يفعلون في المغرب ، لقد تعرضوا في تقاريرهم للشاذة والفاذة ، حتى عزمهم وتخطيطهم لهدم الكعبة في مكة ونبش قبر الرسول في المدينة على ما نعلمه جميعاً^(٢) !

هل كان خبر النهروالي ضمن التحامل على العرب ؟ !

وفي الوقت الذي كنا ننتظر من النهروالي أن ينسب المعلومات المتعلقة بالوجود البرتغالي في المنطقة إلى مصادرها ، وجدناه لا يتجاهل

(١) لقب بالسلوخ لأن الجمهور المغربي بعد أن عثروا على جثته بين قتلى معركة وادي المخازن سلخوه وحشوه تبناً وكانوا يطوفون به تحذيراً لمن تسول له نفسه أن يركب متن الخيانة .. وقد التحق ابنه بالبرتغال وتنصر وهناك قضى بقية حياته :

Les Sources Inédites de l' Histoire de Maroc , Ire . Sè — Par Robert — Ricard -

de Genival — Chantal de La veronne — Vasco ae carvalho : La Domi — nation portucaise de Maroc ...

(٢) العشارية الثالثة - الجزء الأول - الفصل ٣ .

الحملة البرتغالية إلى عُمان في القرن السادس عشر - ترجمات من كتب التاريخ البرتغالية أعدته جمع الوثائق البرتغالية حول الخليج - سفارة عمان - باريس ، النص العربي

.. ومنهجة .

تلك المصادر فقط ، ولكنه يتقصد أصحابها لسبب أو آخر بالقدح والذم ..

إن هناك خطأً جسيماً وقع فيه بعض الكتاب عندما زين لهم أن يلعبوا بالنار ، فيأخذوا - خلافاً للتعليمات الإسلامية - في تفضيل هذا الشعب على ذلك أو في ادّعاء أن ذلك الجنس هناك يفوق هذا الجنس هنا .. إن ما عانتة الأسرة من ويلات وما تزال تعانيه ، جدير أن ينهنا إلى خطر تأريث العداوة بين الشعوب الإسلامية ..

وإن من المفيد جداً أن نقف مع بعض المقاطع التي وردت في كتاب (البرق اليماني) مما يكشف عن نزعة النهروالى المتحيّزة !!

إنه عندما يصف العرب الذين لم يخضعوا للدولة العثمانية يقول عنهم : « لكنهم عربان - حمقى جهلاء ، ليسوا عقلاء بل غفلاء ينخدعون بالكلام الباطل ويصدقون بالموهات الأباطل ، فركبوا من عقولهم متن عمياء وخبطوا خبط عشواء ! » .

لقد كان يعتبر أن الدولة التركية هي التي أنعش الله بها أهل الحجاز من الفاقة والفقر .. وعندما تحدث عن السلطان مراد قال : « واستمر فشمّلني بإنعامه وأنعم على أولادي بالتدريس وأولاهم بكلّ إكرام وإحسان لطيف » .

وهكذا نال عند الأتراك جاهاً عظيماً تجلّى في الإغداق عليه بوافر العطاء حتى لكان راتبه يُماتل راتب شيخ الحرم المكي الذي كانت رتبته عندهم تأتي بعد رتبة شريف مكة^(١) !

مخطوط آخر للنهروالى هديةً إلى ملك المغرب !

ولعل بعضنا يسمع لأول مرة أن النهروالى هذا هو الذى جمع ديواناً بكامله على شرف ملكٍ من ملوك المغرب الموموقين أثناء القرن العاشر الهجرى (٩٦٤ = ٩٨١) ، ويتعلّق الأمر بكتابه « التمثيل والمحاضرة بالأبيات المفردة النادرة » أهدها لملك المغرب فى نفس الوقت الذى أهدى فيه كتابه (البرق اليماني) إلى السلطان سليم الثانى .. « جمع فى ذلك الديوان من الأبيات المفردة ما يَتمثل به فى المحاضر ويَتشهد به فى المحافل كلُّ مجالس ومحاضر^(١) » .

سوف أترك الحديث المفصل عن هذا المخطوط إلى فرصة أخرى ، و سأقتصر هنا على ذكر الأسباب التى كانت وراء هذا التحوّل عما تعودنا عليه من لدن النهروالى فى حديثه عن بعض الجهات العربية فى المشرق .. لا بدّ أن نعرف الأسباب سيّما والبعد بين النهروالى وبين العاهل المغربى شاسع :

هنا سأفتح معكم صفحةً من صفحات تاريخ المغرب الذى يظلّ - كما أشرنا - مرتبطاً بتاريخ المشرق ، نحن نعلم أن بلاد المغرب كانت فى

(١) [توجد من هذا الكتاب نسختان بدار الكتب المصرية إحداها نسخت عام ١٠٦٣ والثانية عام ١٢٧٥ وعنها صوّر الفيلم الذى حصلت عليه من لدن الزميل د . محمد بن عبد الرحمن الربيع مدير مركز البحوث لجامعة الامام محمد بن سعود . والكتاب عبارة عن طائفة من الأبيات الشعرية المفردة مرتبة على حروف العجم ، وفيها الكثير مما استشهد به (البرق اليماني) كقوله :

إن الرجال صناديق مقفلة ومافاتيحها إلا التجارب!

وقوله :

وقالوا : المشيب وقار الفتى فقلت أصفعوني وردوا شبابى !!

صدر من أهتز طرباً لفتح القسطنطينية العظمى ، حيث وجدنا ملك المغرب يبعث بوفد للتهنئة أواخر عهد بنى مرين أوائل القرن التاسع ، بل وجدناه أيام حكم بنى وطاس فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجرى يقبل ، تحت تأثير ضغط العثمانيين ، أن يذكر سلاطينهم على المنابر ، وينقش أسمائهم على سكّته على ما يذكره الزّيانى فى كتابه الترجمانة الكبرى^(١) .

وسرعان ما ظهرت الدولة السعدية على بنى وطاس فبدا ملكهم أبو عبد الله محمد المهدي الملقب بالشيخ كأقوى ما تكون الملوك ٩٥١ - ٩٦٤ - ١٥٤٤ - ١٥٥٧ .. وقد زاد من مركزه أنه استطاع أن يدحر البرتغاليين من عدد من الثغور المغربية فى الجنوب : فتح حصن فوئتي وآسفى وأزمور وبنى حصن أكادير ..

وردت عليه من لدن الأتراك سفارة تحمل مراسلة السلطان سليمان القانونى تطلب إليه أن يدعو لسليمان على منابر المغرب وينقش اسمه على عملته كما كان بنو وطاس .. فماذا كان جواب محمد الشيخ لسليمان القانونى ؟

لقد كان الجواب هو ما رددته كتب التاريخ مما أثار حفيظة السلطان سليمان الذى بلغه أن العاهل المغربى نعته بـ « سلطان القوارب » عندما أجاب البعثة هكذا : « لا أجيب سلطان القوارب إلا إذا كنتُ بمصر » !

(١) تمة عنوان الكتاب : التى جمعت أخبار العالم برّاً وبحراً أو جمعت أمصار المعمور برّاً وبحراً . عبد السلام بن سودة ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ج ١ . دار الكتاب ، طبعة ثانية ١٩٦٥ ج ٢ ص ٣٣٨ .

ومن السهل أن نعرف المصير الذى كان ينتظره ملك المغرب محمد الشيخ الذى جرؤ على نعت السلطان سليمان القانونى بما نعت به ! كيف وهذا السلطان هو الذى كان يجيب ملوك أوروبا على خطاباتهم بهذه العبارة التقليدية التى يصدر بها كتبه : « تطارح كتابك أمام كرسي عظمتي الذى هو ملجأ العالم أجمع »^(١) !

فعلاً أرسل الأتراك « كومانضو » ورد فى صفة لاجئين فارّين .. حيث تمكنوا ذات يوم من قطع رأس الشيخ أبى عبد الله محمد المهدي وحمله مُملحاً فى مخلّاة إلى العاصمة العثمانية عام ٩٦٤ = ١٥٥٧^(٢) حيث ظلّ هناك معلقاً على باب القلعة عدة شهور قبل أن يوارى فى التراب بينما دفنت جثته فى مراکش !!

لقد ترك مصرع الملك الشهيد صدى عميقاً فى ديار المغرب وخاصة فى ابنه الامير عبد الله الذى تولى الحكم يحمل كنية أبى عبد الله ولقب الغالب بالله ..

وحتى يعمل المتآمرون على تنسية الأبناء مأساة الآباء تحرك الشيخ النهروالى ليقوم بتأليف ذلك « الديوان » الذى جمع فيه ، كما أشرنا ، طائفة من الحكم الشعرية مرتبة على الحروف الهجائية ..

وهكذا فكما قام قطب الدين باهداء (البرق) إلى سلطان

(١) راجع جواب السلطان سليمان القانونى للملك فرانسوا الأول بتاريخ أوائل شهر آخر الربيعين سنة ٩٣٣ = ١٥ يناير ١٥٢٦ تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامى دار الجليل ، بيروت ١٩٧٧ ص ٨٥ .

(٢) كان مما أثر عن هذا الملك المغربى العظيم قوله الذى يعتبر من قواعد السياسة : ينبغى للملك أن يكون طويل الأمل فإن طول الأمل وإن كان لا يحسن من غيره فهو منه صالح لأن الرعية تصلح بطول أمله . الاستقصاه ٥ ، ٣١ .

سَدَادُ رَبِّهِ فَلَا يَخْطَاَهُ الْمُرَاعِي جَانِبُ
الْعَدُوِّ وَالْإِحْسَانُ فَيَنْتَظِرُ اسْتِزْعَامَهُ، أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ الْغَالِبُ بِأَمْرِ اللَّهِ، مَوْلَايَ الشَّرِيفُ
عَبْدُ اللَّهِ أَبَدَ اللَّهُ تَضَرُّعَهُ وَإِدَامَ أَيَّامَهُ
وَإِظْهَرَ بَشْرَهُ شَرَفَ الْإِسْلَامِ وَاحْتِرَامَهُ
وَجَمَلَ الْمَلِكِ كَلِمَةً بَاقِيَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَقْبِهِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. شَعْبِ
فَلَا زَالٍ لِحُجُورِ الْجَنَابِ مَوْدِيَّةً، بِنَصْرِ عِزِّ لَيْسَ يَخْشَى زَوَالَهُ
وَدَامَ لَهُ الْإِقْبَالُ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ رُكَايَاهُ أَوْ حَيْثُ حَظَرَ رَحْلُهُ
وَالْمَامُولُ مِنْ سُدَّتِهِ الْحُسَيْنِيَّةِ قَبُولُ هَذِهِ الْبَيْدَةِ الْيَمَلِيَّةِ بِقَلَمِهِ سَلِيمًا
عَصْرًا بِالْأَمْرِ بِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا يَصْنَعُ بِهِ اسْتَعْنِ بِهِ فِي خَيْرِ مَعَانٍ

صورة لصفحة من الديوان

صفحة من المخطوطة النادرة التي ألفها النهروالي برسم العاهل المغربي أمير المؤمنين
الغالب بالله مولاى الشريف عبد الله .. والمامل من سُدَّتِهِ الْحُسَيْنِيَّةِ قبول هذه « الهدية
النملية » فإنه سليمان عصرنا ..

المشرق ، قام أيضاً بانجاز (الديوان) برسم سلطان المغرب !! والكلّ كان خدمة للباب العالى .. ولمصالح العثمانيين ..

أريد أن أضيف إلى هذا أن ديوان النهروالي لم يجد له صدّى في المغرب ولدى الأدباء المغاربة بل إنه على العكس من ذلك فتح عيون المغاربة الذين ظلّوا حذرين يقظين ولفترة تناهز ثلاثة قرون أو تزيد من كلّ ما يأتى من استنابول^(١) !

ومن تنمة هذا الموضوع أن نردد هنا ما قاله التّمكروقي سفير السلطان أحمد المنصور وهو أحد أبناء الملك الشهيد - سفيره إلى القسطنطينية العظمى - .. قال في إحدى إفاداته عن طرابلس الغرب التى كانت تابعةً للنّفوذ العثماني آنذاك (٩٩٧ = ١٥٨٧) :

« وقد جار الترك على أهل تلك البلاد كثيراً وأفسدوها وضيّقوا على أهلها في أرضهم وديارهم وأموالهم حتى استباحوا حريم المسلمين .. إلى غير ذلك من الذل والإهانة التى هم فيها معهم ، وهكذا أهل إفريقية كلهم ، فكان ذلك وراء الثورات على الترك .. تالله لقد كان من تحدّثنا معه من خيار أهل تونس وأعيان مصر الذين لقيناهم بالقسطنطينية يبيّكون وينتحبون »^(٢) . . !

(١) كان أول ظهور الأتراك بالأندلس في الغرب الاسلامى منذ شوال ٣٣٠ هـ على ما يذكره ابن حيان في (المقتبس) ، ولكن ظهورهم كمسلمين هو الذى كان بعد قيام الامبراطورية العثمانية وظهورها بالجزائر .. المقتبس : تحقيق شالميتا - مدريد - الرباط ١٩٧٩ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) كتاب النفحة المسكية في السفارة التركية - تأليف : أبى الحسن على بن أبى عبدالله سيدى محمد الجزولى التّمكروقي : ترجمة وتعليق الكونط دو كاسترى (De Gastries) باريس ١٩٢٩ ص ٧١ - ٧٢ .

هذا إلى إفادة أخرى مُماثلة للسفير الزاياتي سفير السلطان سيدى محمد بن عبد الله ..

فإذا أضفنا إلى هذه المرويات ما ورد عن الصوفي الشهير بالمغرب ، سيدى عبد الرحمن ابن المجدوب^(١) ، اكتملت لنا الصورة فيما يتصل بالشعور السائد آنذاك ، مع الأسف ، بين الأتراك والعرب بسبب تلك الأفكار الغريبة على البنية الإسلامية !!

إنى أرجو بكل صدق أن لا يكون صنيع النهروالى مما يدخل فى اعداد تلك النعرة الجاهلية ! والآن فماذا نفسر أطباق سائر المؤرخين سواء منهم العرب والعجم وسواء فيهم المسلمون والمسيحيون على عدم ذكر اسم ابن ماجد كمرشدٍ ودليل لعناصر الإستغلال والدمار فى المنطقة ؟

ابن ماجد القِمة العملاق الذى قدّم النهروالى صورة عنه وكأنّه قزم يغطية العشب ! لقد تتبع النهروالى أخبار تحرك الأتراك حتى تونس عام ٩٨١ = ١٥٧٣ وصحبهم فى مقارعتهم هناك ذاكراً أعداد قطع الأسطول العثمانى الراحل إلى القارة الأخرى : إلى تونس ، لكنه ظهر وكأنّه لا يعرف شيئاً عن ليث من ليوث البحر ومعلمة من معالم الأسطول نشأ وعاش وتوفى على مقربة منه !

(١) كان مما قاله :

يا سايلنى على القرن الثلثش أكحل مافيه إمارة !
الكسوة كسوة المسلمين والقلوب قلوب النصارى !

يعنى من يسألنى عن القرن الثالث عشر .. ؟ إنه أسود ليست له علامة ، لا يتبين أوله من آخره ! كساء أهله ككساء المسلمين لكن قلوبهم قلوب النصارى !

إن أقل ما يمكن أن ينعت به كلام النهروالى حول ابن ماجد أنه
تعسف وظلم للتاريخ وتقصير فى حق شخصية شهيرة مرموقة عرفت
بمدرستها وتلامذتها وتآليفها التى كان النهروالى ، كما أرى ، فى صدر
من استفادوا من توارىخها ..

لو كان النهروالى من مواليد هذا العصر لَشَبَّهَتْهُ بمن حاول اغتيال
شخصية كبرى وعندما يمثل أمام القضاء يعترف بأنه إنما كان يبحث
عن شهرة دولية لنفسه .. ! إن النهروالى ، مع تقديرى الكبير له
ولما أنتحه ، لكن صيته كان سيقى مقتصرأ على عالمه ، أما وقد انفرد
وحده دون باقى مصادر الدنيا بخبر يمس تحرك أكبر امبراطورية مسيحية
على ذلك العهد لاغراض صليبية وتحقيق أطماع مادية ، فلا بد وأن
يصبح اسمه معروفاً على صعيد الموسوعات العالمية والأبحاث الأكاديمية !

لقد كنت أتصوّر بادىء الأمر أن قولة النهروالى ناشئة عن تساهل
غير مقصود .. إننا كثيراً ما نلاحظ أن الناس إذا ما سمعوا بيت شعر
فى الفخر نسبوه إلى المتنئى .. وإذا سمعوا عن شعر غزل رقيق نسبوه
إلى مجنون ليلى ، وإذا سمعوا عن مُجُون واستهتار نسبوه
إلى أبى نواس ! فقلت ربما كان الأمر يتعلق بالبحث عن إسم الملاح
الماهر الذى استعان به الفرنج ، فوقع سهمه على « الشخص الشهير
الذى يقال له أحمد ابن ماجد^(١) !! لكننى بعد أن قابلت الإفادات
التاريخية الدّقيقة التى ذكرها النهروالى ، أخذتُ أعتقد أن النهروالى كان
على حد التعبير القائل : « يأكلون خَيْرُهُ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ » !!

(١) يذكر المؤرخ البريطانى تيبس (Tibbetts) أن شهرة ابن ماجد كانت تعادل
شهرة الملاح اليونانى الذى يسمى هيبالوس (Hippalos) ، أو البحار المعروف فى القرن
التاسع عشر جوهن هاميلتون (John Hamilton)

ابن ماجد والتراث المغربي :

إن إحدى المخطوطات المغربية التي تعتبر من أهم وأدق المخطوطات العلمية للشيخ الإمام الأوحـد أـبـى عـلى الحـسـن بـن عـلى بـن عـمـر المـراكـشي إنما يعرفها المغاربة من خلال ما كتب الناس عنها في كتب المجاميع والفهاريس .. ولكنها وجدناها في متناول ابن ماجد العلامة الفحل الذي كان يبحث عن كل ما يقوى ثقافته البحرية غير متردد في المقارنات والمفارقات بين هذا النص أو ذاك ، وهكذا فعلاوة على توفر ابن ماجد على كتب ابن سعيد المغربي وإفادات المعلم عبدالعزيز بن أحمد المغربي والتأخذاً ابن أبى الفضل^(١) ، وجدناه يقتبس أكثر من مرة من مخطوطة أبى على المراكشي المسماة : جامع المبادئ والغايات في علم الميقات ، التي يقول عنها حاجي خليفة في كشف الظنون .. إنها أعظم ما صنف في الفن ، كما يقول عنها سيديو (Sédillot) إنها أقوى كتاب رفع مكانة العرب العلمية^(٢) .

(١) المعلم ج معالة : (قابطان السفينة) ثاني رجل على المركب بعد التأخذ : مالك السفينة وهذا من أصل فارسي : ومن القول السائر : (نأخذاً ولا كابن ماجد) الفوائد ص ١٥ - ١٦ .

(٢) كنت أثناء سفارتي ببغداد علمت بوجود نسخة من هذا المخطوط بخزانة الأستاذ العزاوي وحاولت عبثاً الحصول على صورة منها وهي التي صارت إلى مكتبة المتحف العراقي ، نسخها حمزة بن محمد المحمود الهرمزي سنة ١٠١٩ = ١٦١٠ .
(أسامة ناصر النقشبندي - ظمياء محمد عباس : مخطوطات الفلك والتنجيم - دار الرشيد بغداد ١٩٨٢ ص ٥١ - ٥٢ - وقد وقفت (١٩٨٤) في الخزانة الوطنية بباريز على هذه المخطوطة تحت رقم ٢٥٠٧ - ARABE

Traité des Instruments : Astronomie des Arabes composé
au treizième siècle par Aboul Hassan 'li de Maroc , Paris .

الجزء الأول من كتاب...

الشمائل لجميع الرسايل وأدبها...

تأليف الشيخ الإمام الفاضل المتقن المحقق وحيد عصره وفريد دهره
الحسن ابن علي ابن عمر المراكشي عماله عنه وعن جميع المسلمين
ابن ابن بيارب الع...

تمت العبد المذنب...

هذه سابع نسخة نسختها وظهرت في نهايتها الاظهرت غيرها
من نسخة نسخت من نسخة بخط الامام... وبإسناد التوفيق
وهو حسنا ونعم ان...

مكتبة...
بإسناد...



عدد النسخة...

١٨٩

صورة من الورقة الأولى للجزء الأول من كتاب (جامع المبادئ والغايات) تأليف
أبي الحسن المراكشي الذي اعتمده ابن ماجه . (عن المخطوطة الوحيدة بالخرانة الوطنية
بباريز).

ومن هنا فإن تقديرنا ، نحن المغاربة ، لابن ماجد تقدير نابع عن إيمان واقتناع بأن الرجل لم يكن ، كما تصوره النهروالى ، مرشداً عادياً ، ولكنه كان أرفع وأسمى من ذلك ، إنه العربى الشَّهم الذى سلط صاب علقمه ولومه وتقريعه على أولئك المارقين الفجرة ، ليس فى بلاد المشرق وحدها ولكن ببلاد المغرب والأندلس ..

وهناك وشيجةٌ أخرى تربط المغاربة بابن ماجد علاوةً على اعتزازهم بتزكيته لتراثهم ، تلك أنه يلتقى معهم فى الشيخ الذى كانوا يقتدون به فيما يتعلق بركوب متن البحار ! أو لم نسمع ولم نقرأ عن الإمام أبى على الغمارى الشاذلى الذى أخذ بفاس عن ابن حرزهم قبل أن تدركه وفاته بالمشرق عام ٦٥٦ - ١٢٥٨ والذى طبقت شهرته الآفاق : كان مرجعاً لعدد كبير من الأقطاب والرواد فى ديار المغرب والمشرق ..

هذا الرجل هو الذى وضع لتلامذته ورداً خاصاً كانوا يتيمنون بذكره كل صباح قبل أن يخرجوا من بيوتهم لعملهم اليومى فسمى « حزب البر » ، ثم بعد أن أخذ يخوض غمار الجهاد عبر البحار أنشأ لتلامذته ورداً ثانياً عرف فى كتب التاريخ باسم « حزب البحر » .. كانوا يقومون فيه بتوسلات خاصة وأدعية معينة ، فيها ما كان يتصل بالتحصن والتعوذ من القراصنة الكفار الذين كانوا يسطون على ركاب السفن إلخ ... المهم أننا اكتشفنا من خلال كتب ابن ماجد جانباً هاماً من جوانب حياته ، ذلك أنه كان متصوفاً ... حيث رأيناه يحض تلامذته البحريين على « عدم ترك حزب البحر » كما تشير إليه الفائدة

الثامنة من كتابه الفوائد^(١) .

إن هذه لقطة تاريخية من حياة ابن ماجد تعطينا من جهة أخرى صورة عن تعمُّمه بأرفع العمائم وانتعاله أحسن النعال وتبخره بالعود القُمَارى وتضميحه للحيتة وثوبه بالزَّبَاد الحبشى وولوعه بتناول البنِّ على ما كانت عليه عادة معاصرة الشيخ العيدروس الشاذلى^(٢) .

ولعلَّ من الطريف والمهم كذلك أن نعرف أن السلاطين في المغرب كانوا يطلبون من الرؤساء البحريين أن يقوموا بذكر « حزب^(٣) البحر » عندما يمحرون عباب الأمواج على نحو ما كان يفعله ابن ماجد مع تلامذته ..

(١) لقد فهم شوموفسكى من تأليف ابن ماجد لأرجوزة برسم الإمام على كرم الله وجهه أنه كان شيعى المذهب .. وعندى أن هذا لا ينهض دليلاً على ما ذكر ... كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد ص ٢٤٤ ثلاثة أزهار ص ٩١ .

(٢) لا بدَّ أن نذكر هنا أن مخطوطة (السُّفالية) بما صاحبها من المعلقة والتائية تضمنت فى مكان على حدة بعض الأبيات للعيدروس الامر الذى يكشف عن صلة بينه وبين ابن ماجد .

(٣) على ذكر حزب البر والبحر .. أذكر هنا أن بعض الكتاب المعاصرين من الذين اشتهروا بكثرة الرحلات الجوية قاموا أخيراً بإنشاء حزب أطلقوا عليه « حزب الجو » - دعوة الحق عدد ٢٣٥ جمادى الثانية ١٤٠٤ = إبريل ١٩٨٤ - جريدة الانباء المغربية ٢ رمضان ١٤٠٤ = ٢ يونيه ١٩٨٤ .

inconsistency. Ferrand's article in the *Encyclopaedia of Islam* has resulted in Ibn Mājid, the author of the navigational treatises, being accepted as the same as Vasco da Gama's pilot. Shumovsky, in editing the poems of Ibn Mājid found in a manuscript in Leningrad, reiterates this statement stating confidently that Ibn Mājid was the pilot and that the Leningrad poems show him lamenting his own stupidity for introducing the Portuguese into the Indian Ocean.

This theory needs a certain amount of revision. In the first place the Portuguese texts with the exception of Vasco da Gama himself who gives no nationality, all state that the pilot was a Gujarati Moor—and most of these texts were written some time after the event when the Portuguese might be expected to know the difference between a Gujarati Moor, a Malibari Moor or an Arab Moor from the south Arabian littoral. The fact that his name (or title) was partly Arabic makes no difference, for we see from Mahmud Shah's shipping code⁸ that the word *mu'allim* (as *malim*) is the usual word for pilot in Malay at this period so presumably it was used as such throughout the Indian Ocean. Admittedly Ibn Mājid bewails the arrival of the Portuguese in his Leningrad poems, but in no case does he place the blame on himself; the arrival of the Portuguese was just part of God's will, an event to bewail, not an event to curse himself for as Shumovsky would have us believe. We are left with Quṭb al-Dīn's mention of Ibn Mājid by name, and the story of his drunken spree with the Portuguese Admiral. "The story of the intoxication", says Ferrand, "seems to be a complete invention; it seems that it was a pious fiction intended to excuse an action which the Muslims of Mecca where Quṭb al-Dīn lived must have regarded as treachery".⁹ He thinks it more likely that Ibn Mājid gave information in return for money given by the Portuguese or the King of Malindi as the Portuguese accounts state. Intoxication to a Muslim can hardly excuse a treachery; it is more likely to be a further insult to the name of Aḥmad ibn Mājid. Quṭb al-Dīn is only a generation or so away from Ibn Mājid's time and one wonders if it is not some personal or family reason which makes him place Ibn Mājid's name in this place of shame. Perhaps this is a deliberate piece of libel written out of spite. On the other hand Ibn Mājid's fame as a navigator may have already caused his name to be used generally for the name of an unknown pilot much as Hippalus appears in Greek times or "John Hamilton" in the 19th century. This latter fact I feel unlikely—Ibn Mājid's fame was already great by this time (1550) among navigators, but it is doubtful whether it was

⁸ cf. Ferrand: *Instructions nautiques* v. 3, pp. 178-80, and below p. 62.

⁹ *Encl. Islam*, Shibāb al-Dīn, v. 4, p. 362.

صورة لصفحة من كتاب تيبس

صفحة من البحث القيم الذي حرره ج. ر. تيبس (G. Tibbetts) في كتابه
البحرية العربية في الأقيانوس الهندي قبل مجيء البرتغال وقد طبع لثاني مرة في
لندن ١٩٨١.

هذا مثل من الأمثلة الماكرة العديدة .. التى يمكن أن تتجدد
من جهةٍ إلى أخرى ..

وفيما يتعلق بآسيا وبلاد الخليج يمكن أن نجد - بل اننا قرأنا فعلاً
فى الأرشيف البرتغالى ما مكّننا من بعض الوسائل الشيطانية المستعملة
علاوة على قوة الحديد والنار .. ولكن ذلك الأرشيف الطويل العريض
لم يستطع أبداً كما قلنا مراراً وتكراراً أن يلفظ باسمٍ يحمل إسم أحمد بن
ماجد .. أنه بعد ترجمة أعمال باروش مثلاً لم يبق مجال للالفتات
إلى ما زعمه النهروالى حول من سماه « شخص يقال له ابن ماجد » !

مع ج . فيران

إن قصة النهروالى لم تكن لتعطينا - كسائر الترهات المماثلة -
لولا أنها أدت إلى مضاعفات كانت تمس بجانب من جوانب تراثنا
علاوة على ما يتبين يوماً عن يوم من أنها هفوة لا تقوم على أساس !
إن أحداً لا ينكر ما قام به بعض المستشرقين من خدمات جُلّى
لصالح المعرفة ولخير البحث وازدهاره على العموم ، وما كان
لهم من فضل فى الكشف عن كثير من الحقائق الدفينة التى ظلت غائبة
إلى اليوم .. ولكننا مع ذلك نرى من واجبنا أن نساعد هؤلاء بمساهمتنا
فى حوارهم والتعقيب عليهم وتلقى رد الفعل منهم بما تقتضيه الحكمة
وفصل الخطاب .

وقد كان فى أولئك السادة المستشرقين البروفيسور كابريل فيران
(G . Ferrand) ، ت ١٩٣٥ ، الذى لذّ له أن يهتم بتراثنا البحرى
فى العصور الوسطى .. فكان ذلك فى صدر الأسباب التى دفعت

به لنفض غبار الخمول والنسيان عن شخصية شهاب الدين بن ماجد ، حيث وجدناه يقوم - مشكوراً - بتحقيق بعض أعماله الجليلة كما يقوم بنشر طائفة من البحوث التي تتصل به الأمر الذي كان داعياً لإلفات النظر إلى هذه المعلمة الفكرية الكبرى في التاريخ العلمي للعرب والمسلمين^(١) ..

بالرغم من أنني هنا لست بصدد استعراض كل ذلك الجهد الكبير إلا أنني لا أرى مناصاً من إثارة بعض ما يتعلق بابن ماجد^(٢) ..

لقد وجد فيران فيما رواه النهروالي عن مساعدة البرتغال من لدن شخص يقال له ابن ماجد .. دلهم على الطريق وقد وجد في هذا الخبر مادة خصبة .. وكان من السهل عليه أن يحدد - كما أسلفت - زمن المرافقة ابتداء من يوم ٢٤ أبريل ١٤٩٨ إلخ .. كما كان من اليسير لديه أن يجد اسم الميناء الذي تم فيه اللقاء .. إنه ماليندى .

(١) Relation de voyages et textes géographiques arabes, persons et

turkos relatif à l'Exterme - Orient du VIIe au XVIIIe siècles . Par G . Ferrand , I - II Paris 1913 - 1914 . Le Pilote arabe de Vasco de Gama et les instructions nautiques arabes au XVe Siècle Anna - les de géographie 1922 .

G . Ferrand : Shehab al - Din Ahmed b . majid T . IV , P . 375 - 1934 .

فيران جبرائيل : شهاب الدين أحمد بن ماجد ، دائرة المعارف الإسلامية ، طبعة أولى ، دار المعارف ، بيروت ، ترجمة الشنتناوى .

S .M aqbul Ahmed : Ibn Majid Encyclopèdia 1965 .

(٢) نصب نفسه كآبريل فيران دركياً يصحح أخطاء المارة ! وهكذا وجدناه ينكر بكل بساطة أن يكون ابن بطوطة قد زار الصين نظراً لكون الرحالة المغربي ذكر مدينة قنجنفو (Qanjanfu) التي لم يستطع فيران تحديدها !

Voyages d ' Ibn Battuta , Paris T . 4 , P . 279 - 477 .

وبقى فقط أن يذكر الوسيلة التي استدعى بها ابن ماجد للحضور إلى ماليندى .. هل مركب مستعجل راح إليه ؟ أم حمام زاجل طير إليه ؟ !

(يُذكر أن زوجاً أراد أن يختبر قوة زوجته على كتمان السر .. فأسرَّ إليها ذات صباح أنه ولد غراباً ، ورجاها أن لا يتعدها هذا الخبر .. فما كمل يومها حتى أخبرت جارتها بأمر الغراب الذى تحول إلى غرايين .. وقد تحدثت الجارة لصديقة لها عن ثلاثة أغربة .. إلى أن عادت القصة إلى الزوج وهى تتحدث عن رجل فى البلدة ولد مائة غراب !! تلکم قصة فيران مع النهروالى) .

وهكذا فرضوا على ابن ماجد أنه أصبح مرشداً لفاسكو دى كاما ! ومع أن حديث ابن ماجد ، عن المَرْقَة الفجرة من المحتلين معروف على ما سنقرأه فى أرجوزة « السُّفالية » .. فهل يسمح أحد منا لنفسه أن يتصور أن إباء وشهامة ابن ماجد كان دون إباء وشهامة حاكم الموزامبيق الذى رفض مساعدة فاسكو دى كاما لما اكتشف أنه غير منتم للأسرة الإسلامية . سيما مع ما علمناه سلفاً من إمكانية انتهاء ابن ماجد للسادة الشاذلية وهم معروفون بعدم خضوعهم للجبروت .. !

- وقد ورد المستشرق الروسى ثيودور شوموفسكى (Shumovsky) -
- بعد فيران - ليقرر ما قاله سلفه . وليطلع إلينا عام ١٩٥٦ -

مشكوراً - بتحقيق مخطوطة بعنوان : « ثلاث رآة نامكات^(١) » المجهولة « كان شيخه ، أى شيخ شوموفسكى^(٢) ، يعتزم على نشرها ، وقد ألى إلا أن يصحب اسمه - تقليداً لفيران - فى عنوان الكتاب بنعت كأنه كان لديه ضمن صفات الحالة المدنية !! هذا النعت هو : ابن ماجد ربان رحلة فاسكو دى كاما .. أثبتنا بأحرف بارزة ، مباشرة مع عنوان الكتاب !!

وإن مثل هذه الفلتات لتؤكد حقاً ما ورد على لسان ثيودور نفسه أنه لم يحلل موضوع الأراجيز تحليلاً كاملاً وإنما قصد أن يدفع بالبحث خطوة إلى الإمام ، أى إنه شعر بأن مجهوده كان ناقصاً وهو ناقص بالفعل كما سترى^(٣) ..

والأغرب من هذا أن يتصدى بعض الكتاب المسلمين للحديث عن ابن ماجد هذا فيزيدوا - تقليداً للمستشرقين - من إحكام الصلات بين ابن ماجد وفاسكو دى كاما ! ويُمعنوا فى تعدد الجلسات وتبادل المعلومات والمناقشات مع إغفالهم بعض الملاحظات الأساسية .

(١) أى مرشدات بحرية أى خريطة أو دليل الطريق .. وتمة العنوان : لأحمد بن ماجد ربان رحلة فاسكو دى كاما ، وهى مأخوذة من النسخة العربية الفريدة التى توجد فى مكتبة معهد الاستشراق عُنَى بنشرها وتحقيقها وترجمتها إلى اللغة الروسية ووضع لها الفهارس ثيودور شو موفسكى ، طبع بمطبعة المجمع العلمى للاتحاد السوفياتى موسكو ١٩٥٧ ، لينغراد ، المجمع العلمى العراق ، بغداد . ثلاث أزهار فى معرفة البحار لأحمد بن ماجد ، ملاح فاسكو دى كاما ، تحقيق ونشر ثيودور شوموفسكى ، ترجمة وتعليق الدكتور محمد منير مرسى ، نشر (عالم الكتب) - القاهرة .

(٢) كراتشكوفسكى : الجغرافيون والرحالة العرب ، مع المخطوطات العربية طبعة ١٩٦٣ - دار التقدم - موسكو ص ١٨٠ . ١٩٣٧ ، ص ٧٣٨ ٧٦٥ .

(٣) ثلاث أزهار ص ٧٦ .

لقد قرأت بتقدير كبير ما كتبه الزميل الأستاذ مقبول أحمد عن ابن ماجد في دائرة المعارف الاسلامية في طبعتها الجديدة .. إلا أنني ما أزال أعتقد أن استفادته من « السُّفالية » تظل محدودة وفي دائرة الاستفادة التي ردها شوموفسكى !

وهكذا فبالرغم من إشارته لما قاله ابن ماجد في « السُّفالية » عن أحداث عام ٩٠٠ - ١٤٩٥ لكنه لم يدقق في أحداث السنتين التابعتين .. كما أغفل - وهذا مهم - التساؤل عن سكوت ابن ماجد عن سنة ٩٠٣ - ١٤٩٨ التي تميزت بوصول فاسكو دي كاما .. وهذه ملاحظات أساسية بالنسبة لموضوع صلة ابن ماجد بالبرتغاليين^(١) ..

وقد اعتقد « اللذون » ساروا في هذا الرّكب ، اعتقدوا أن في تريده هذه الاسطورة من أساسها « تشریفاً » لسمعة العرب وُبُعد صيتهم في الملاحة البحرية فعمدوا إلى إطراء ابن ماجد والاشادة بذكره باعتبار أنه لو لم تكن ارشاداته « لما عرفت أوربا طريقها » .. وهكذا فهو أخرى بلقب مكتشف طريق الهند^(٢) !

ولم يتردد د . أنور عبد العليم في القول بأن حكومة البرتغال أقرت بهذا الفضل للملاح العربي ابن ماجد فأقامت له في ماليندي بكنيا نصباً تذكاريّاً يخلد هذه الواقعة . (مجلة تراث الانسانية بتاريخ ٥ أبريل ١٩٦٧) .

(١) S . Maqbul Ahmed : HBN MADJID Ency . de l' Islam 2^e (١)

édition .

(٢) خير الدين الزركلي نقلاً عن مجلة المجمع العلمي اللغوى : أنظر الاعلام ..

والجزء الثانى المستدرك منه .

ومن الفكاهة أن الأستاذ على التاجر - وهو يردّ على د . أنور عبد العليم فيما يتصل بهذا النصب ، قال : ان التمثال هو لعيسى بن طريف . (مجلة العرب ، الحلقة السادسة ١٣٩١ - ١٩٧١) .

والذى نراه صحيحاً - بعد أن وقفنا على صور هذا النصب ، أنه لا صلة له ألبتة بابن ماجد ، وإنما هو نصب على شرف فاسكو دى كاما ! ويحمل في أعلاه - كما هو واضح - شعار البرتغال ، والكل داخل صليب على ما نراه في الرسم :

وهكذا فليس للنصب صلة بابن ماجد ولا بعيسى بن طريف !!
لقد دغدغ ذلك الكلام بعض الناس بل سحرهم فأخذوا به وعادوا يرددون « دور العرب الريادى فى خدمة البحرية والحضارة الإنسانية » .

وكأنه لم يبق للعرب فى اللائحة الطويلة العريضة لتاريخهم العلمى والحضارى^(١) وفى تجربتهم البحرية الواسعة إلا ذكر ابن ماجد كمرشد لدى كاما^(٢) .

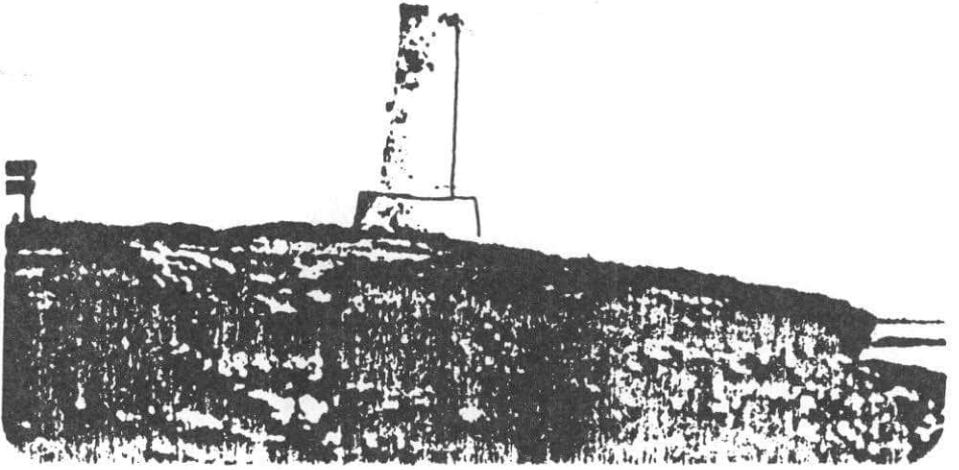
تحضرنى هنا قولة لأحد رجال الفكر المعاصر : « ويل لأمة يكتب تاريخها مستعمروها » ! فعلاً إذا ما خول للمستعمر أن يكتب

(١) أغتنم هذه المناسبة لأشكر الزميل الدكتور أوهادياه م . وينائنا (OBADIAH M . Wainaina) على المساعدة التى قدّمها إلى من نبروى (كينيا) .

(٢) د . سزكين : محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والاسلامية ١٤٠٤ = ١٩٨٤ تاريخ العلوم العربية والاسلامية = فرانكفورت .



الصورة الكاملة للنصب الذى أنشئ تخليداً لوصول فاسكو دى كاما إلى ماليندى .



صورة النصف الأعلى للنصب الذي أنشئ تخليداً لوصول فاسكو دي كاما إلى ماليندى

تاريخنا فستكون الكارثة على أجيالنا السابقة واللاحقة ، فإن المستعمر لا يهتم منك ومن تاريخك إلا ما يعزز وجوده .

أمامي الآن عشرات بل مئات من أيامنا المحجلة التي تنقلب في نظر الباحث الأجنبي إلى أيام انهزامية استسلامية كثيفة ، أمامنا الآن قمم من الفهم والإدراك والمبادرة والإبتكار تستحل في نظر بعض الأجانب إلى سقط متاع لا يذكر ولا يعرف .. !

صدرت في هذه الأيام موسوعة تحمل أسم موسوعة البحر .. خصصها المؤلفون الذين أشرفوا على انجازها ، لكل ما يتصل بالبحر مما يمس المراكب والسفن ورجالها منذ العهد القديم إلى عالمنا الحاضر ، فهل كان فيها ذكر لأى ملاح عربى ؟ وهل كان فيها ذكر لأى أسطول من أساطيل المسلمين التي انطلقت في العصور الوسطى عبر البحر المتوسط .. وعبر المحيط الهندى لترحل بعيداً حتى الشرق الأقصى .. ؟ أبداً ليس إلا رجالهم وأبطالهم !

حول صلة ابن ماجد بالبرتغال :

والآن سأصل إلى العنصر الهام الذى كان وما يزال يهمنى أن أدلى فيه بدلوى مع الزملاء الذين سبقونى حول ما قيل إلى الآن عن صلة ابن ماجد بالبرتغال أو بالحرى عن مساعدته لهم فى النزول بالهند قبل أن يقصدوا مطريقهم نحو ديار الخليج^(١) ، وأعتقد أن النقاش الهادف هو الذى سيصل بنا فى الأخير لتنوير رأى حول الموضوع : ويتعلق الأمر بعنصر العمر المحدد ، عنصر التواريخ المحكمة ، وعنصر الأرقام

التي لا تكذب .. بالرغم من أنه لم يعثر على تاريخ لمولد ابن ماجد ولا على تاريخ لوفاته فإنه ، مع ذلك ، ترجم لحياته - إذا صح التعبير - من خلال ما كتبه من مؤلفات وما نظمه من شعر ..

لقد اشتغلت ببعض الشخصيات الإسلامية من الأندلس والمغرب ، ممن لم يعرف لها وكذلك لا يوم بداية ولا يوم نهاية ، ولكنها أصبحت معروفة عبر ما حررته في أثناء حديثها عن نفسها ، على نحو ما رأيناه في المؤرخ الأندلسي المغربي عبد الملك ابن صاحب الصلاة^(١) ..

كلنا يعدّ لابن ماجد عشرات من المؤلفات بلغت - كما قلنا - أزيد من خمسة وثلاثين .. كان فيها ما جهل تاريخ تأليفه لكن فيها ما كان معروف التاريخ ، وفي تلك الكتب ما كان يتناوله فيها الموضوع دون استطراد ولا استراوح ، ولكن فيها ما كان يعبر عن مذكرات شخصية - إذا صح التعبير كذلك - أو آهة من الآهات أو شماتة من الشماتات .

ومن خلال كل هذا عرفنا عمر الرجل وعرفنا حجمه وأبعاده بما لا يترك مجالاً للشك ، ومن هنا يصح القول من أن ابن ماجد اليوم غدا بالنسبة إلينا غير ابن ماجد الذي استفاد منه النهروالي ثم قال عنه « شخص يقال له فلان » !

لقد رجح بعض الكتاب أن ابن ماجد ولد حوالى سنة ٨٣٥ = ١٤٣٢ .. وأنه أخذ بمقود السفينة صحبة والده منذ أن

(١) عبد الملك ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة على المستضعفين .. تحقيق د . عبد الهادي التازي ، المطبعة الأولى ، بيروت ١٩٥٤ - الطبعة الثانية بغداد ١٩٧٩ .

بلغ عمره السادسة عشر تقريباً وهو السن المناسب ليتوفر المرء على ثقافة أولية في الدين والفقه والحساب ..

لقد اخترت هنا أن أرافق ابن ماجد وهو على ظهر المركب يحرق كتبه المفيدة من التي تحمل تاريخاً لتأليفها^(١) قبل وصول البرتغال للمنطقة أولاً لأدّلك على أن ابن ماجد لم يكن مديناً لهم في معلوماته ، وثانياً لأبرر مكانته كشخصية وليس هامشاً يبحث عن « المتعة والخدمة » !!

لقد كان منها أرجوزته التي تحمل إسم « حاوية الاختصار في أصول البحار » وقد ألفها سنة ٨٦٦ - ١٤٦٢ وهو ابن حوالي ٣٠ عاماً تقريباً ، قبل وصول فاسكو دى كاما للمنطقة بـ ٣٧ عاماً ..

وهذه الأرجوزة تحتوى على أكثر من ألف بيت وهي تشتمل على أحد عشر فصلاً في العلامات التي يجب على الربانة معرفتها استدلالاً على قرب البر ، وعن القمر ومهاب الرياح وعن السنة الهجرية والرومية والنبطية والفرسية وعن الرياح الموسمية وأزمنة هبوبها وسكونها وعن طريق سير السفن على ساحل العربية والحجاز وسيام ،

(١) كان من تأليفه التي لا تحمل تاريخاً : أرجوزة في معرفة القبلة ، سماها : « قبلة الاسلام في جميع الدنيا » في نحو خمسمائة بيت - وأرجوزة في مائة بيت حول بر العرب في الخليج الذي يفصل بينهم وبين بلاد فارس وأرجوزة من ٢٥٥ بيت في ذكر المراسي على ساحل الهند الغربية وفي بعض السواحل العربية .. وأرجوزة من ٤٨ بيت برسم على بن أبى طالب في منازل القمر وحقيقتها في السماء ، وقصيدة من ١٧٢ بيت اسمها المكينة تغزل فيها بأهل مكة ، وأرجوزة تحمل اسم (البليغة) في مراقبة بعض النجوم ، وتسعة فصول نثرية في المارزا (MARIZA) ، وأرجوزة من ٣٣ بيتاً في موضوع علم الفلك ، وقصيدة من ١٥٥ تحمل اسم الهادية ، وقد نقل الاستاذ عبد الله الماجد عن كتاب مخطوطات الموصل أسماء كتب أخرى له .

وشبه جزيرة ملاقة (معلقة) وأطراف بلاد الزنوج وعن سواحل الهند الغربية ، وساحل القمر ومندل والناط والبنغال وسيام حتى جزيرة بليطون وجاوة والصين وفرموزة ، وفي سير السفن على سواحل جزر جاوه وسومطره والغال ومدغسكر واليمن والحبشة والصومال وجنوب العربية والمقران ، وفي المسافات بين الثغور العربية والثغور الهندية وفي عرض الثغور الموجودة على البحر الهندي^(١) .

ولقد كان من مؤلفات ابن ماجد المدققة التاريخ أرجوزته السبعية من ٣٠٥ بيت ، سماها كذلك لأنها تضمنت سبعة علوم من علوم البحر غير الفراسة .. وقد أتمها وهو جُلْفار عن عُمان وكان ذلك أى الاتمام بالضبط يوم ١٨ من ذى الحجة نفس السنة ٨٦٦^(٢) = ١٣ شتنبر ١٤٦٢ . أى ٣٧ عاماً كذلك قبل وصول دى كاما إلى المنطقة كان ابن ماجد على ذلك المستوى من المعرفة .

وقد اختفى نشاط ابن ماجد فى التأليف زهاء ربع قرن لتظهر لنا من مؤلفاته المؤرخة عام ٨٩٠ = ١٤٨٥ أرجوزته من نحو مائتى بيت

(١) عبد الله الماجد : الربان النجدى أحمد بن ماجد : مجلة العرب ، السنة الثالثة ج ١ رجب ١٣٨٨ تشرين الأول ١٩٦٨ .

(٢) كان هذا التاريخ يوافق اليوم الذى حدثت فيه الواقعة التى يعتمد عليها الشيعة حول : هل أوصى النبى ﷺ إلى على ؟ ولقد كانت بتاريخ ١٨ ذى الحجة من السنة العاشرة للهجرة ، وقد عرفت بواقعة غدير خم .. ويمكن أن يتساءل هنا عن سر اهتمام ابن ماجد بهذا اليوم بالذات ، وهل أن الأمر يتعلق حقيقة بميول شيعة .. الأمر الذى قيل أيضاً بمناسبة نظم أحمد بن ماجد لأرجوزة يرسم الامام على ، لكن الذى نتلمسه من خلال ميل ابن ماجد للشاذلية لا يحملنا على مسaire هذا رأى على نحو ما علقنا به على توصية ابن ماجد للبحرين بتلاوة حزب البحر .

د . أحمد محمود صبحى : نظرية الامام ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ص ٢١٠ وما يليها .

وهي تحمل إسم « المُعْرِبة » لأنها عربت الخليج البربرى وصححت قياسه من حانوق إلى باب المندب تتعلق ، كما نرى ، بالملاحه في خليج عدن .

وهذه الأرجوزة أيضا قبل وصول فاسكو دى كاما بنحو من ثلاثة عشرة سنة ، وقد ألفها وهو ابن خمس وخمسين سنة . لاحظوا أن القِمة تزداد يوماً عن يوم شموخاً وعلواً ..

وقد كان من مؤلفاته عام ٨٩٣ = ١٤٨٨ القصيدة المعروفة بـ « الذهبية » وهي أرجوزة من ١٩٤ بيتاً عن الصخور البحرية وعن الأعماق وعن علامات الوصول إلى البر .. وهي أيضاً منجزات ابن ماجد قبل وصول دى كاما بنحو عشر سنوات ، وسنه ثمان وخمسون سنة ، وقد عرفت له سنة ٨٩٤ = ١٤٨٩ ثلاث مؤلفات^(١) :

أولاً : أرجوزة من ٦٤ بيتاً تحت إسم (ميمية الأبدال) في فائدة النجوم الشمالية عند سير السفن .

ثانياً : أرجوزة من ٢٣ بيتاً في عدة الشهور الرومية .

ثالثاً : قصيدة باسم « كنز المعاملة ودخيرتهم » في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج وأسمائها وأقطابها وهي من البسيط .

(١) كانت هذه السنة تصادف معركة حاسمة بين المغاربة والبرتغاليين تحمل إسم وقعة جزيرة « المليحة » La Graciosa أو وقعة وادى المخازن الصغرى كما أسميتها ، حيث ضرب المغاربة سداً على البرتغاليين المتسربين إلى البلاد ففصلوا بينهم وبين المحيط مما اضطر ملك البرتغال لطلب الهدنة ! وهذه غير معركة وادى المخازن الشهيرة ٩٨٦ = ٥٧٨ التي كان فيها مصرع ملك البرتغال .

د . عبد الهادى التازى : وقعة وادى المخازن الصغرى .

وزارة الشؤون الثقافية : ندوة العرائش غشت ١٩٨٣

ياأيها الناس مهما شئتم قولوا الأرض معلومة ، والبحر مجهول !
وكل هذه المؤلفات كانت قبل وصول دى كاما بتسع سنوات
وسنه تسع وخمسون .

وأن من أبرز مؤلفاته الثرية كتاب الفوائد فى أصول علم البحر
والقواعد .. وقد ألفه كما هو معلوم سنة ٨٩٥ = ١٤٩٠ ويتضمن
البحث، عن أصول الملاحة وحجر المغناطيس ومنازل القمر والنجوم
التي تقابل أقسام الابرّة المغناطيسية الاثني والثلاثين ، وعرض بعض
الثغور الموجودة على المحيط الهندى والبحر الصينى ومراحل ساحل الهند
الغربية والجزر العشر الكبرى المشهورة وهى : جزيرة العرب ، جزيرة
القمر ، وزنجبار ، وجزيرة البحرين .. إلخ .. وبعد أن يتعرض لذكر
الرياح الموسمية فى المحيط الهندى يصف البحر الأحمر بالتفصيل :
مراسيه وأعماقه وصخوره الظاهرة والخفية .

وهذا الكتاب الذروة - كما ينعتة فيران - ألفه أحمد بن ماجد ،
ثمان سنوات ، قبل وصول فاسكو دى كاما إلى المنطقة أى عندما بلغ
سن الستين .

وتجدر الإشارة إلى أن ابن ماجد أخذ يشعر وهو يؤلف كتابه :
« الفوائد » بأن الشمس على أطراف النخيل ، أى أنه بصدد الوداع :
« نخاف أن يدركنا الموت ونوادى الحِكم فى القلوب » على حدّ
تعبيره .. يضاف إلى هذا ، الشعور باكتمال مهمته وإيمانه بأنه قد بذل
جهده فيما يعرف وأن على الذين يأتون من بعده أن يقوموا بدورهم فى
البحث ، على نحو ماقاله مؤلفون أكفاء من قبله ، أمثال الحموى وابن
خلدون .. قال ابن ماجد : « وهذا حساب خفى قد وقّعت ولم أدر

من يباحثني فيه إلى الغاية ولعل بعدى يأتي من يباحث، فيه^(١) » ..

ثم كانت قصيدته من ١٩٣ بيت بعنوان « ضريبة الضرائب » التي تضمنت بعض الاشارات الهامة التي أذكر منها : أولاً : أنها نظمت عام ٩٠٠ - وهو من خمس وستين سنة - وثانياً : وهو مهم ، الاعراب عن أمنيته في أن يحقق النذر الطي أوجهه على نفسه .. والذي لم يكن يقصد به ، وفيما يبدو ، غير زيارة الحرمين الشريفين مرة أخرى . أنا فرحتي في ليلة قد ترتبت كأني أعطيت المنى ليلة القدر مهذبة في (تسعمائة) قد أتت إذا هي تمت وفيت لها نذرى !

وفي هذه السنة أيضا ٩٠٠ = ١٤٩٥ كانت أرجوزته حول السير في البحر ، وهي من ٢٣٣ بيت وقد أنجزها كذلك قبل أن يصل دى كاما المنطقة بنحو من ثلاث سنوات .

ولم تسجل الأيام لابن ماجد بعد هذين المؤلفين اللذين صادف تاريخهما بلوغ سن الخامسة والستين ، أقول لم تسجل له غير بعض الأعمال القليلة : منها الأرجوزة التي تحمل إسم « الخمسة » التي ألفها وهو ابن إحدى وسبعين سنة عام ٩٠٦ = ١٥٠٠ - ١٥٠١ وهي من واحد وخمسين بيتاً من الرجز الخمس وتتضمن ذكر الكواكب المفيدة للملاحين في سيرهم .

ويبقى علينا أن نذكر من أعماله التي حملت هذا التاريخ أعنى

(١) لقد وقفت في الخزانة الوطنية بباريز (٢٣/١٠/١٩٨٤) على مخطوطة الفوائد (٩٢ ٢٢ ARABE) وضمنها مخطوطة الحاوية والمُعربة وميمية الابدال إلخ .. وهي بخط مشرق إلا أن هناك تعليقات بالخط المغربي على الصفحة الأولى لكتاب الفوائد ..

الفرق بين شمسك ونصف قطب السحر ياخذ جيب الكحل قطب عن قربنا
ياخذ جيب قطب عدك وياخذ بين من قطب لعلك لعلك وياخذ قطب
كذلك ياخذ الرقعة والله اعلم . فالصواب .
تمت الفوائد والأراجيز المفيدة بحمد الله وعونه وحسن
توفيقه وللحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وكتبه في شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٥
بدره
العظيم
١

صورة من الورقة الأخيرة للمجلد الذي يحتوي على كتاب (الفوائد) وبعض الأراجيز
التي هي من تأليف ابن ماجد : وفيها (المعربة) وضريبة الضرائب ، والذهبية إلخ ..

٩.٦ = ١٥٠٠ - ١٥٠.١ : أرجوزته الشهيرة المَعنونة بإسم « السُفالية » نسبة إلى سفالة^(١) الافريقية ، وعدد أبياتها يتجاوز الثمانمائة بيت في معرفة المجارى والقياسات من مليبار والسند إلى السيف الطويل ، ومنه إلى بلاد الزنج وأرض السفال والقمر وجزره إلى « آخر الأرض » من الجنوب .. وقد تعرض فيها لذكر السواحل والبلدان ومعادنها وترواتها وعادات أهلها ..

يأتى فى سياق هذه الأرجوزة أرجوزة أخرى تحمل إسم (المعلقة) نسبة إلى معلقة : (مَلّاقة) الأسبوية الماليزية ، تصحبها قصيدة بعنوان (الثائية) .. وكلّ الثلاثة نشر تحت عنوان « ثلاث رَأَ نَامَجَات » ، من لدن المستشرق الروسى شوموفسكى كما عرفنا .

وجدير بالذكر أن نلاحظ أن هذه الرانامجات علاوة على ماتحتويه من فوائد علمية لاغنى عنها لرجال البحر إلّا أنّها مع ذلك تتضمن معلومات تاريخية ودلالات سياسية فى منتهى الأهمية ، ومن هنا اعتمدناها فى حديثنا عن عنصر حياة ابن ماجد من خلال الأرقام . وقد كنت أتمنى - كما أشرت - أن يهتم المستشرق الروسى اهتماماً أعمق بهذه الأرجوزة وما تدلّ عليه إلّا أنى ، مع تقديرى الجمل للجهد الذى بذل فيها ، أشعر بأنها ماتزال تحتاج إلى دراسات أعمق^(٢) ..

(١) سُفالة (SOFALA) مرفأ جنوب الموزامبيق فى مقابلة جزر القمر ، كان عاصمةً لدولة إسلامية ، ويحكى عن أهلها صاحب المعجم مثل ما حكاه عن بلاد التبر بأرض جنوب المغرب ، من أنهم تجلب إليهم الأمتعة ويتركها التجار ويمضون ثم يجيئون وقد تركوا ثمن كلّ شئء عنده .. والذهب السفالى معروف عند تجار الزنج .

(٢) أذكر على سبيل المثال التفكّه أن كلمة « الأشرق » كما نعرف عملة ذهبية منسوبة إلى السلطان الأشرف .. لمّا تحدث ابن ماجد عن بلاد مصر افاد فى البيت التالى أن « الدينار الأشرقى » مضروب من ذهب النوبة (الورقة ٩٣ ، أسطر ١٦) : =

وقد كان بوذي لو أن الأستاذ شوموفسكى وجد من الوقت مايسمح له بتقفي آثار ابن ماجد وتقفي أقواله وأعماله إلى جانب دراسة عامل هام في الموضوع وهو عامل سِنَّه أى سن ابن ماجد ، هذا العامل الذى نجد من الصَّعب جداً أن نتصوّر معه ابن ماجد مجرد شخص هامشي يبحث عن المتعة بقدر ما يبحث عن الخدمة مع الحاكم على مايرويه فيران عن باروش !

مهما يكن لقد عرفنا - من خلال السفالية - ماكنّا في حاجة إلى معرفته من حياة ابن ماجد .

لقد تحدث لنا عما عاينه بنفسه عام ٩٩٠ = ١٤٩٥ عن وصول الأفرنج ثم تخبطهم - بعد ذلك - طيلة السنتين المتواليتين (٩٠١ - ٩٠٢ = ١٤٩٦ - ١٤٩٧) بحثاً عن طريق قاليقوت التى وصلوها في نهاية السنتين المذكورتين قبل أن يعودوا إلى أرض الزنج لاستجماع أنفاسهم !

ولكن على أن يقصدوا أرض الهند سنة ٩٠٦ = ١٥٠٠ - ١٥٠١ بنية الإستقرار والاستمرار ، كل هذا أمكن استخلاصه من السفالية على مانرى بالإضافة إلى ماتناهى إلى ابن ماجد من معلومات افرنجية تتصل بهويته البحرية مما لم يجد غضاضة في التنويه به في الأرجوزة ، أليس هو القائل : « فاطلب ضالتك ولو في أهل الشرك » ! وبالإضافة كذلك إلى الشماتة بالدخلاء وهم يتعرضون

وكل ضرب الأشرى منه فلا تسل من بعد ذاك عنه !

لكن شوموفسكى ظهر له أن يصلح كلمة « الأشرى » إلى « المشرى » مُفسراً إياها بأنها « السيف المشرى » !! .

كما أعيد إلى الذاكرة ماأسلفته من خطأ المعلقين على شوموفسكى الذين ادعوا أن الشاعر البرتغالى كامويس ذكر إسم ابن ماجد !!

للعواصف البحرية .. وهم يقضون الشهور يتخبطون في مجاهل المحيط الهندي ..

أرجو أن أفتح قوسين هنا لأذكر بالعودة إلى الشطر الأول من نص النهروالى المتعلق بما وقع أول القرن العاشر من دخول البرتغال إلى ديار الهند عبر ممرٍ بحري قريب من جبال القمر .. في مكان كثير الأمواج لا تستقر به سفائهم ، وتنكسر ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون في ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند إلى أن خلاص منهم غراب إلى الهند ..

فإذا ما ألقينا نظرة على خاتمة الأرجوزة « المعلقة » فسوف نتحسس من خلالها مدى الشعور بالألم والحسرة من رؤية المجتمع الإسلامى فى معلقة (ملاقة) وقد شاعت فيه علامات الانحلال والتفسخ نتيجة الإحتلال الأجنبى ، على نحو ما حكي على عاصمة امبراطورية سُنغاي فى افريقيا الغربية بعد أن استهدفت بدورها لنفس الغزو^(١) .. ولا شك أن تلك الوضعية لم تعرفها معلقة (ملاقة) بين عشية وضحاها ، الأمر الذى يجعلنا نعتقد أن ابن ماجد ربما كان يتحدث عن الحالة فى بداية العقد الثانى من القرن العاشر الهجرى $٩١٤ = ١٥٠٨$ تقريباً نفس السنة التى كانت تصادف وفاته ، كما تصادف وفاة صديقه

(١) الشيخ الأمين عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد سنغاي - دار البيان العربى - جدة ١٣٩٦ = ١٩٧٩ .

Z. D. ISSIFOU : 1 Afrique noire dans les Reternatio nales au XVIè Siècles Carthala, paris, 1982 .

د . عبد الهادى التازى : الموجز فى تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية ، مطبعة المعارف الجديدة - الرباط ١٤٠٥ = ١٩٨٥ ص ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ .

أو شيخه ألى بكر بن عبد الله العيدروس اليمنى^(١) رحمهما الله ، وهى السنة التى أتجه فيها البوكيرك نحو مملكة هرمز ..

أما القصيدة (التائية) فإنها أبرز ما يستخلص منها ، كما قلنا أنها كانت إيذاناً بأن شهاب الدين استنفذ أغراضه من الدنيا بعد أن حقق الله أمانيه .

وهكذا فطيلة فترة ملازمته المركب - وهى خمسون سنة - كما يقول - ألف الحاوية عام ٨٦٦ = ١٤٦٢ والمُعربة عام ٨٩٠ = ١٤٨٥ و«الذهبية» عام ٨٩٣ = ١٤٨٨ والميمية و«كنز المعاملة» عام ٨٩٤ = ١٤٨٩ ..

وبعد هذا أخذت ملازمته للسفينة تخف .. لقد بلغ من العمر زهاء ستين سنة وهو يتفرغ الآن لكتابه الجليل : (الفوائد) عام ٨٩٥ = ١٤٩٠ .

وعندما تحدث فى أرجوزته (السُّفالية) عن أحداث ٩٠٠ = ١٤٩٥ كان يتحدث وهو ابن خمس وستين سنة حيث لم يغفل ، كما أشرنا ، عن تقديم لقطة تاريخية هامة : تحرك الفرنجة عبر «المدخل»^(٢) إلى افريقيا الشرقية ثم إلى المحيط الهندى ثم يعطينا ابن ماجد وصفاً لستى التيه اللتين عرفهما الأجنى قبل أن يحط ركه بأرض الهند على نحو ما ذكر النهرالى ..

(١) يوجد بيتان لهذا الشيخ اليمنى الأصل ، الشاذلى الطريقة ، أثبتهما ابن ماجد مابين الصفحتين ٩٦ (ب) و ٩٦ (أ) . ولا بد من الإشارة إلى أن ابن ماجد تحدث عن «الين الفيحاء أرضة الأحبة» فى الورقة : ١٠٤ ص . ٥ .

(٢) يقصد ابن ماجد بالمدخل رأس الرجاء الصالح (Bonne Espérance) كما سماه ملك البرتغال بعد رحلة دياز (DIAZ) .

وقبيل أن أصل إلى تاريخ آخر ألحّ على ذكره ابن ماجد مرتين اثنتين من السفالية وهو تاريخ $٩٠٦ = ١٥٠٠ / ١٥٠١$ الذى يؤرخ للعودة البرتغالية الحاسمة إلى كاليكوت .. قبل أن أصل إلى ذلك التاريخ يجب أن نعرف جميعاً عن فترة ما بين التاريخين اللذين اهتم بهما ابن ماجد : أعنى ما بين سنتى التيه : وهما $٩٠١ - ٩٠٢ = ١٤٩٦ - ١٤٩٧$ ، وبين سنة $٩٠٦ = ١٥٠٠ - ١٥٠١$ التى احتلت فيها كاليكوت ..

وبالضبط فترة ما بين يوم الثلاثاء ٢٤ أبريل ١٤٩٨ وبين يوم الأحد ٢٠ مايو ١٤٩٨ التى ذكر كابريل فيران أنها كانت موعداً لعبور ذى كَما صحبة أحمد بن ماجد .. تلك الفترة التى عززها ثيودور شوموفسكى (Shumovsky) بوضع خريطة تبين بعض الأمكنة الواردة فى السفالية .. إنَّ هذه الفترة تلهمنى من وجهتى نظر اثنتين :

أولاهما : إنها التاريخ المفتاح لدى فيران وسائر من تبعه بما فى ذلك الأستاذ الزميل مقبول فى تعليقه بالطبعة الجديدة لدائرة المعارف الإسلامية ، أى الفترة التى ظهر فيها ابن ماجد بكلِّ ثقله العلمى ومركزه الاجتماعى .

ثانيتها : أنها الفترة الوحيدة التى لم يتعرض لها ابن ماجد إطلاقاً فى « السفالية » مع العلم أنه تحدث عما قبلها ($٩٠٠ = ١٤٩٥$) وما بعدها ($٩٠٦ = ١٥٠١$) .

فيما يتعلق بوجهة النظر الأولى ، أريد أن أتساءل : لماذا اقتصر فيران على ذكر التاريخ الميلادى دون ذكر الموافق له بالتاريخ الهجرى ؟



هذه الخريطة مأخوذة من كتاب «ثلاث راهاجات المجهولة» وقد تعمدت أن لا آتي
بالتعليق الوارد فيها والذي ينسب لابن ماجد إرشاد البرتغاليين

تعمد فيران - إمعاناً في التلبس - وحتى لا يثير عليه الشبهات أن
يقتصر على ذكر التاريخ المسيحي دون الهجري ، مع علمنا بأن
المستشرقين حريصون في مثل هذه الأمور على البحث عن التواريخ
الهجرية كذلك .. لكن فيران ، لما لم يكن التاريخ الهجري يخدم
أطروحته أهمله ..

والغريب في أمر فيران أنه بالرغم من أن المصادر البرتغالية القديمة
حرصت على ذكر اسم المعلم كاناكا ولم تردّد صدى لابن ماجد ، إلا
أنه مع كلّ ذلك يناقش المؤلفين البرتغاليين القدامى - كما ذكرت -

ويقول لهم : إنه يعتقد أنهم مخطئون ولو أنه - على حدّ تعبيره - يعجز
عن تفسير أخطاءهم !!

أما فيما يتعلق بوجهة النظر الثانية ، أريد أن أتساءل : ماذا قال
ابن ماجد عن تلك الفترة التي ذكرها فيران ووثّقها بالسنة والشهر ثم

الميثاق

محاضرات

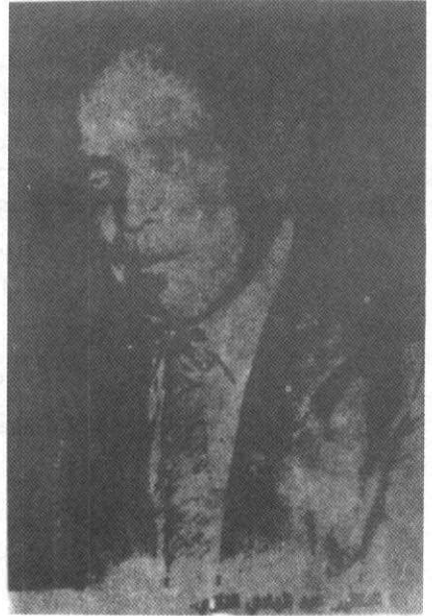
ابن ماجد ... رجل فوق الأمواج • تراث منحه في مجال علوم البحار

• بمناسبة زيارته لعمان القي الدكتور عبد
الهادي اللّاذي محاضرة في مسقط حول الملاح
ابن ماجد .

وقد استهل الدكتور اللّاذي محاضرته بمخ
مشوق حول أوجه الشبه الكثيرة والكثيرة جدا
بين تاريخ المحيط وتاريخ الخليج، انتقل بعدها
ليقدم الملاح العربي ابن ماجد كأخر قبس لاح
في أقصى ديار المشرق، في وقت كان فيه النشاط
البحري بالغرب الاسلامي يتعرض لحصار محكم
نتيجة لتأمر الاساطيل الاجنبية عليه ،

وقد ظل اسم ماجد - يقول الدكتور اللّاذي -
على ألسنة البحارة في خليج عمان والبحر الاحمر
والمحيط الهندي قرونا عديدة، فكان أقوى جسر
ربط بين القارة الاسيوية والافريقية، وكان مفخرة
للعالم العربي والاسلامي بما كتبه من عشرات
المؤلفات وما قدمه من معلومات مفيدة قبل ان
يتوفاه الله حوالي 914 هـ - 1508م.

وبعد ذلك تطرق للمحاضر للحديث عن الجدل
الطويل الذي عرفته الخمسون سنة الماضية حول
قضية تمس هذا الملاح العربي .



جانب من تعليقات بعض الصحف

عزّزها شوموفسكى ؟ الجواب : لا شيء .. لقد قرأنا لابن ماجد عن أحداث ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ .. ثم عن أحداث ٩٠٦ ، فماذا كان وراء اهماله للحدث العظيم الموثق بـ «المذكرات والأجهزة المتبادلة ، والخرائط البحرية» والمتمثل في عبور فاسكودى كاما للمحيط الهندى بأسطوله ورجال سلطانه ، رمضان عام ٩٠٣ بالهجرى أى مائة ١٤٩٨ ، قبل أن تعود البعثة إلى ليشبونة بعد نحو من سبعة شهور (١٠ دجنبر ١٤٩٨ = ٢٥ ربيع الثانى ٩٠٤ ، ومعها رفيقها الجديد بن سعيد (Moñ çaid)^(١) وهل يسوغ أن يقبل حديثه عما قبل وعما بعد الحدث العظيم ، دون أن يتناول الكلام عن هذا الحدث الأساسى ؟ !

إنى على يقين تام من أن ابن ماجد لم يتهرب من الكلام عن ذلك الحدث الذى كان يدخل فى إطار المحاولات المتجدّدة باستمرار والذى شاءت الأقدار أن تجعل منه فيما بعد ، الحدث البارز والحاسم بالنسبة لاستعمار البرتغال للهند ..

ولكن ابن ماجد كان - على ما يتأكد لدى - غائباً عن المنطقة ، وربما كان يوفى بالنذر الذى قطعه على نفسه بالذهاب إلى وداع بيت الله الحرام .. على ماسمعنا .

بهذا أفسر صمته أنا عن ذلك «الحدث» الذى نفخه فيران وزاد فيه شوموفسكى وقبلناه نحن من غير من أن نكلّف أنفسنا عناء تتبع مراحل عمر ابن ماجد !

ومن هنا فإن الأطروحات المتعلقة بذاك البقاء الخيالى تظلّ مهلهلة القياس منهارة الأساس !! إن مجرد كون فترة عبور دى كاما للمحيط

الهندي كانت رمضان ، مجرد ذلك يُقصَى فكرة اللقاء ، وأخرى المنادمة والمسامرة و « البحث عن المتعة وعن الخدمة مع الحاكم » كما يقول باروش ! فإذا ما أضفنا عنصر السبعينات التي كان الشيخ ابن ماجد يقطعها وأضفنا إلى كل هذا إهمال ابن ماجد لأحداث ٩٠٣ = ١٤٩٨ بسبب تغييه ربّما في حجة وداع .. عُرفنا إذن مدى مصداقية تلك الأطروحة !

ولئن كان النهروالى تحدث دون أن يتروى ، فإن بعض المستشرقين الذين وضعوا « السيناريو » (SCENARIO) ووثقوه بالتواريخ المسيحية تعمدوا أن لا يبحثوا عما يقابل تلك التواريخ من أيام الله .. حتى يوقعوا في « فخهم » أكبر عدد من الباحثين .. حول ابن ماجد من الذين ظلوا إلى الآن يتصوّرون أنه (شرب) وانه إنما لم يذكر أحداث ٩٠٣ = ١٤٩٨ ، لأنّه (ندم) !! كبرت كلمة تخرج من أفواههم !!

أعتقد أنّ أحداً منّا لا يرضى - بعد اليوم - أن يقبل الخدش في سيرة عملاق من عمالقة العرب كان خير جسر وأمتته للعالم الإسلامي بين القارة الآسيوية والأفريقية .. في سيرة بطل لم يركع إطلاقاً للإغراءات الرخيصة .. أعتقد أنّ أحداً منّا لا يرضى أن يسمع عنه أنه باع نفسه بأجنس ثمن لأرذل غرض وفي أبرك وأتقى شهر !

وهكذا فبعد أن تأكّد لدينا أن ابن ماجد تتبع أحداث السنة الأولى من القرن التاسع الهجرى .. كما تتبع السنتين المواليتين .. بما اكتنفها .. أى السنوات الثلاث ، جميعاً من عبث، العواصف وغرق بعض المراكب وما انتهى إليه الأمر من وصول البرتغال إلى أرض الهند في آخر هذه السنوات الثلاث ، وبعد أن تأكّد لدينا أن ابن ماجد لم

يتحدث إطلاقاً عن حدث وصول فاسكودى كما فى شهر أبريل - مايو ١٤٦٨ الموافق لشهر رمضان ٩٠٣ ، مع العلم أنه ، أى ابن ماجد ، تابع خطوات البرتغال إلى عام ست وتسعمائة = ١٥٠١ حيث أخبر من تمكنهم من كاليكوت واتصلهم برجال الحكم هناك .. كما تابع خطواتهم وتأثيراتهم فى معلقة (ملاقة) .. إلخ ..

بعد أن تأكد لدينا كل ذلك وتأكد لدينا مدى صحة «خبر النهروالى» وتأويلات فيران وشوموفسكى ، بعد كل ذلك يمكن القول بأنه إذا كان هناك من صلة بين ابن ماجد وبين الافرنج وخاصة منهم البرتغال ، فإن هذه الصلة لا تتجلى أبداً فى مجالسة دى كاما ولا منادمتة أو مسامرتة أو معاقرتة لكأس معه ، ولكنها تجلت فى أن الفرنج والبرتغال على الخصوص استفادوا من «المرشدات البحرية» لابن ماجد ، استفادوا من مؤلفاته المفيدة وآثاره العلمية التى كانت رائجة مستعملة على ذلك العهد بين «المعالة» و«النواخذة» المنتشرين فى تلك الخليجان والبحار والمحيطات ، تلك المؤلفات التى قال عنها الأميرال التركى سيدى على ريس (ت ١٥٦٢) فى كتابه «محيط»^(١) : «إنه كان من الصعوبة بمكان أن يبحر المرء فى الممرات المائية وان يخترق المحيط الهندى دون الإستعانة بأمثال تلك الكتب» .. أريد القول بأن الربانة والملاحين الأجانب كانوا يجدون أنفسهم وجهاً لوجه أمام تلك الآثار العلمية فكان عليهم أن يستشيروا بإرشاداتها ومن هنا هيمنت مؤلفات ابن ماجد على سائر الرؤساء البحريين وهكذا فإن الصلة تظل فقط

(١) حقق العالم التمساوى وتوماشيك (Tomaschek) هذا الكتاب وقدم له باللغة الألمانية عام ١٨٩٧ كما قدم أجزاء منه قبله المستشرق هامير (Hammer) فى الثلاثينات من القرن الماضى أنور عبد العليم ، الفوائد .

صلة عن طريق ماقال وما أفاد وليس عن طريق الارشاد ولا طريق
الفساد .. !

إن الواجب يفرض علينا نحن المقتنعين ببراءة ابن ماجد ، وبمكانة
ابن ماجد ، أن نعمل على نسف تلك التهمة من الأساس ، بالكلمة
النيرة والحقيقة الصادقة ، علينا أن نبعث ، إلى ليدن حيث تطبع
الموسوعة الإسلامية بحصيلة دراساتنا المرتكزة على المصادر والمراجع
تعقياً على ما كتبه فيران وما كتبه شوموفسكى وما كتبه زملائنا
الكتاب العرب والمسلمون . إنهم سيرحبون ، لأن في ذلك خدمة
للحقيقة العلمية .. يجب أن تكتب باللغة الفرنسية مثلاً في صفحة
مركزة ماذا نعتقد عن هذا الرجل العظيم ، بأسلوب أكاديمي موثق على
نحو ما فعله في عدد من المناسبات .. لقد أخذت الموسوعة الإسلامية
على عاتقها أن تنشر في فصول لاحقة ما يصلها من استدراك
وتعقيب .. ويكفى لتصور استعداد السادة الاساتذة المشرفين على
إصدار الموسوعة الإسلامية ، أن أذكر هنا أن معلومات كابريل فيران
التي صدرت عن ابن ماجد في الطبعة الأولى للموسوعة عام ١٩٣٤
تحولت أو تطورت إلى أسلوب آخر في الطبعة الثانية عام ١٩٦٤ ،
حيث وجدنا الأستاذ س . مقبول أحمد هو الذى يتولّى تحرير الحديث
عن ابن ماجد بأخف مما كان عليه الحال في المرة السابقة بحيث ، أخرج
الحديث ، عن صلة ابن ماجد بالبرتغال إلى ما بعد تقديم الرجل وتقديم
أعماله ، كما لوحظ استبعاد التهمة الجديدة الملحقة بابن ماجد من لدن
فيران والمتخلصة في تسلمه « للمكافأة الحسنّة » لقاء خدمته .. ؟ هذا
إلى ما سجلناه بارتياح من استفادة الأستاذ من أرجوزة السُّفالية حول
بعض المعطيات التاريخية ولو أن لنا مواخذة على زميلنا العزيز الأستاذ

مقبول أحمد فيما يتصل بحجم وبعد تلك الاستفادة من السفالية ، ذلك الحجم الذى نعتقد أنه ظلّ محدوداً ودون ما أن يتعمق فى الحديث، عن التواريخ التى أهملها ابن ماجد وهو الأمر الذى يجعلنا نعتقد بأن الأستاذ سيد مقبول^(١) ظلّ مشدوداً إلى المعلومات التى قدمها كاييريل فيران - على ما أسلفنا - وظلّ متهيئاً النيل منها^(٢) بالرغم من وقوفه على « السفالية » وما يتصل بها على ما رأينا وعلى ماسنرى ، وما كان حديثاً يفترى ! وهى الحقيقة التى فهمتها من الزميل المذكور فى آخر لقاء لي معه ..

(١) S . Maqbul Ahmed E . I .

- (٢) فيران : شهاب الدين ابن ماجد ، دائرة المعارف الإسلامية طبعة أولى تعريب الشنتناوى ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٥ . ذ . خوان بيرنيط : هل هناك أصل عربى اسباني لفنّ الخرائط البحرية ؟ تعريب ذ . مختار العبادى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية - مدريد ، العدد الأول - السنة الأولى ١٩٥٣ .

خاتمة

ونريد أن نصل في النهاية إلى الحقائق التي يمكن أن نستخلصها من هذا العرض :

لقد أشرت عدة مرات إلى إحدى الأراجيز الهامة لأحمد بن ماجد ، وأعني بها (السُّفالية) وقد كانت تتميز عن سائر مؤلفاته بعدد من الخصوصيات أبرزها أنها المؤلَّف الوحيد المعاصر الذي أعطانا صورة عن الوجود البرتغالي بإفريقيا الشرقية والمحيط الهندي .

ومن أجل كل هذا فإنني أرى من الواجب أن نقرأها قراءةً جديدةً ، ونعتبرها حجر الزاوية في كل ما يمس موضوعنا المطروح .. إن الدِّراسات والتعليقات والهوامش التي قرأناها عن «السُّفالية» ما تزال تحتاج منا إلى المزيد من التَّمعن والتَّعقُّر .. ولقد كان الأستاذ ثيودور شوموفسكى صريحاً مع نفسه ومع زملائه عندما اعترف بأن «السُّفالية» لم تحلَّ تحليلًا كاملاً .. وأنه ، أي شوموفسكى ، إنما قصد أن يدفع بالبحث، خطوةً إلى الأمام ..

وجدت نفسي أمام (بيان حقيقة) صدع بها ابن ماجد رحمه الله في الوقت المناسب أي ٨٠ سنة قبل أن يكتب النُّهروالى خبره المزيف عن أمر ذلك الإتِّصال المزعوم ! فنحن إذن أمام وثيقة تاريخية صادرة عن شخصية علمية كبرى كانت محلَّ ثقتنا وثقة العالم كلّه فيما روته ، ابتداءً من «الحاوية» وانتهاءً بـ «التائية» .. ولا يجوز بحال من الأحوال أن نؤمن بجميع ما جاء في كتب ابن ماجد وأن نعتزَّ بكل ما خبره ابن ماجد ، ثم أن لا نأخذ بعين الاعتبار وبنفس الثقة الجانب التاريخي من

أراجيزه اللاحقة ، وهو الجانب المتعلق بوصول الأجانب إلى المحيط الهندي سواء فيهم الافرنج أو الروم أو أهل البندقية كما يقول ..

وهكذا فنحن أمام نصّ تاريخي له من فترة المعاصرة ما ييطل من الأساس خبراً مهلهلاً أتى في صيغة التمريض بعد عشرات الأعوام .

وأريد أن أضيف أنه لو رفعت دعوى على النهروالى فيما سجله من مذكرات لكان هو المحجوج أمام حقائق أدلى به معنئ بالأمر في الوقت المناسب ، وبكل تجرّد ونزاهة وصراحة .. أمام إفادات أخرى أجنبية قديمة صادرة عن كويش وباروش وعن كاستينيدا كما أسلفنا تتحدث عن أسماء أخرى هى على كلّ حال ليست إسم ابن ماجد ..

وسيكون من الحيف والتجنى إذا ماتوهما أن ابن ماجد كتم شيئاً مما عنده حول الوجود الأجنبى في المنطقة ، وانه إنما شجب ذلك «الوجود» تكفيراً عما كان بدر منه !! إن الرجل كما عرفنا جميعاً كان فوق هذه المخاتلات والمواربات ..

وبعد هذا سيسهل علينا أن نؤمن بالحقيقة الثانية التى تتلخص في أن المعلومات التى قدمها كابريل فيران أصبحت بعد ظهور «السّفالية» معلومات متجاوزة ، وأنه لو بقى متسع من العمر أمام كابريل فيران للإستجابة إلى ماطلبه إليه كراتشكوفسكى (KRATCHKOVISKI) من الإطلاع على «السّفالية» وما تبعها لغير رأيه ، إلا أن فيران لم يتمكن من أخذ هذا العمل على عاتقه ، فقد كان عليه أن ينجز بعض الأعمال التى لم يمكن له إرجاؤها ، علاوة على بعض الأمور العلمية التى أرغمته على أن يضع الأدب العربى البحرى في المرتبة الثانية إنه ربما كان يعتقد أن «السّفالية» أدب محض .. ! ولم

يخطر بباله أنها تتضمن معلومات تاريخية وانطباعات شخصية .. وهذا أمر مهم بالنسبة لموضوعنا ..

ومع أن صورة المخطوط : « السُفالية » قد أرسلت إلى كَابِرِيل فيران وقَدَّرها حق قدرها وعزم على إصدارها إلا أن مباغته الموت له يوم ٣١ يناير ١٩٣٥ حال دُون تحقيق تلك الفكرة .. الأمر الذى يؤكد أن كَابِرِيل التحق بالعالم الآخر ومعه سر الحقائق التى ذكرتها السفالية إن كان قد تمكن من دراستها فعلاً وهو الأمر الذى أشك فيه^(١) !!

لقد شعر شوموفسكى (SHUMOVSKI) بأنه - وقد أشار عليه الأستاذ كراتشكوفسكى بنشر الأراجيز المذكورة - شعر بأنه أمام عمل كبير ومعقد .. وأن دراسته لاتدعى لنفسها تحليل الموضوعات تحليلًا كاملاً على ما أسلفت ..

ولابد أن نحفظ هنا أن كَابِرِيل فيران .. عندما كان يتحدث عن ابن ماجد كان يتجاهل أنه كان قد بلغ قمة عمره وقمة مجده كما تعمّد فيران - على ما يبدو - أن لا يتعرض لما يقابل التاريخ الميلادى بالتاريخ الهجرى عند حديثه عن اللقاء المزعوم ، بين أواخر أبريل وشهر مائة ١٤٩٨ ، وهو تاريخ كما علمنا يتفق مع شهر رمضان ، وأنه ليأخذ العجب منّا مأخذه حينما نلاحظ أن ابن ماجد تتبع تحركات الفرنج عام

(١) لاحظت وأنا أبحث فى الخزانة الوطنية بباريز عن آثار ابن ماجد أن « السُفالية » لا توجد ضمن تلك الآثار ، الأمر الذى يجعلنا نتساءل عن مصير النسخة التى أرسلت إلى فيران .. ؟

٩٠٠ = ١٤٩٥ والسنتين الضائعتين بعدها .. ثم وثب لعام ٩٠٦ = ١٥٥١ ولكنه لم ينص إطلاقاً على العام الحاسم ٩٠٣ = ١٤٩٨ الذى يفترضون أنه - أى ابن ماجد - كان المرشد الأساس فيه !! لقد ظهر ابن ماجداً صامتاً إلى أن كانت سنة ٩٠٦ على مارأينا !

لو درس فيران (السُّفالية) ووقف على إفادات شاهد العيان فيها ، لكانت أنارت طريقه وهو يبحث، عن محاولات الإبحار التى تمت قبل فاسكو دى كاما .. ومعه .. وبعده ..

ولهذا فسيظل اعتمادنا على المعلومات التى قدّمها ابن ماجد نفسه .. وتعضده فى ذلك المؤلفات الأجنبية القديمة من التى تتفق معه فيما تحدث به عن نفسه وأن اسم المرشد هو كاناكا وليس ابن ماجد .

أما عن الحقيقة الثالثة فإن الأمر يتعلق بآثار الضباب الذى خلّفته مرويّات كابريل فيران على المستشرقين الآخرين .. إن كراتشكوفسكى ومن بعده تلميذه شوموفسكى لم يكن لنا أن نطمع فى أنهما - بعد أن أطلعا على مقاله ابن ماجد فى السُّفالية - سيتحولان بسرعة عن «التوجيه» الذى أعطاه فيران سلفاً لكل الذين يكتبون حول ابن ماجد ، لم يكن لنا أن نطمع فى ذلك لأننا نعلم جيّداً أغراض بعض رجال الاستشراق وشعور بعض رجال الاستشراق إزاء رجالاتنا وشخصياتنا وقضايانا !

ولهذا فلم يكن غريباً علينا أن نجد أن افتراضات فيران تصبح فى عداد الحقيقة عند الروس ، الأمر الذى جعلهم ينعنون صاحب كتاب السفالية منذ الصفحة الأولى لعنوان الكتاب بأنه أحمد بن ماجد ربّان رحلة فاسكو دى كاما من غير تكليف أنفسهم لا بالبحث، عن عمره

ولا صيته ولا حتى بالبحث، عما يقابل ذلك التاريخ المسيحي من تاريخنا الهجري ..

أكثر من هذا نجد أن هؤلاء الذى علقوا على هذا الموضوع من الروس زعموا أن الشاعر البرتغالي كامويس ردّد إسم (ابن ماجد) كدليل لفاسكو دى كَامَا دون أن يحملوا أنفسهم عناء العودة إلى أصول الشاعر المذكور وقد طبعت عام ١٥٧٢ ، على ما أسلفنا ، وهى تذكر الريان باسم ميلمدانو (Melmdano) وتروى عنه قوله : « هذه الأرض هى كاليكوت ، إذا لم أكن مخطئاً .. تقريباً الأرض التى تبحثون عنها^(١) » .

وهكذا فبالرغم من ظهور « السُفالية » التى تظل القول الفصل فى الموضوع ، فإن بعض الزملاء من الكتاب العرب والمسلمين ، ما انفكوا يشيدون ويصدقون بكل سطر قاله ابن ماجد إلا السطور المتعلقة ببراءته مما نسب إليه .. إلا السطور التى تجيش غيرةً وحماساً على ما أصاب الإسلام والمسلمين من الحملات البرتغالية .. هذه السطور هى وحدها دون غيرها تبقى محلاً للتفسير المشوّه والتأويل الآثم المارق .. مع أن إلقاء نظرة سريعة على تلك السطور يجعلنا فى الصورة الحقيقية للموضوع ..

وسأضرب هنا مثلاً لدرجة الكثافة من الضباب الذى يخيم على بعض الذين سحرتهم « اكتشافات فيران المتجاوزة » .. إن معظم ذلك البعض إن لم أقل كله .. لم يقف قليلاً ليُقدم إلينا التواريخ الهجرية

المذكورة في السفالية مقرونة بالموافق من التواريخ الميلادية التي أُملِيت علينا إملاء ! إن معظمهم لم يحمل نفسه عناء البحث عما يقابل سنة ٩٠٠ الهجرية التي تحدث فيها ابن ماجد عن تحبّط الفرنج وصراعهم مع البحر .. وأن معظمهم لم يكلف نفسه عناء البحث عما إذا كان يوافق السنتين الكاملتين التابعتين اللتين تحدث عنهما ابن ماجد واللتين شهدهما المحيط الهندي كمرحلة قلقية في المحاولات البرتغالية قبل أن تكتحل عيونهم برؤية كاليكوت ! وأن جلّهم لم يكلف نفسه عناء البحث، ليس عما يوافق سنة ٩٠٦ الهجرية التي أناخ فيها البرتغال بكلّكه نهائياً على كاليكوت ، بل عما قيل في المصادر البرتغالية مما يقابل هذا التاريخ .. وهكذا فإنّ هناك حلقاتٍ بظلت مفقودة إلى الآن ، وكان الذي سبب فقدّها هو أننا تجاهلنا أهمية الرد الحاسم الذي ورد في السفالية على كل الذين يحاولون أن يشككونا في مركز وشخصية وأهمية بطلنا العملاق شهاب الدين أحمد بن ماجد رحمه الله .

إن سكوتنا عن تلك الترهات ستجعل من تلك الأقوال المبسرة « حقائق » مروية لدى بعض المتساهلين والعابثين ! أو لم يظهر قبل نحو من أربع سنوات (فيلم) عن ابن ماجد من إنتاج دولة عربية يحتوى على بضع عشرة حلقة .. يتحدث عن الملاح العربي ابن ماجد وهو يتحوّل إلى إنسان في **عنفوان الشباب** عندما كان يقوم بالعمل المنسوب إليه زوراً وبهتاناً ؟ وسرى - إذا ماسكتنا - إلى جانب السكر في رمضان انتهاكاتٍ أخرى في سبيل أن يقال : أن ابن ماجد كان أستاذاً لأوروبا في الوصول إلى الهند !!

وقد قرأنا حديثاً ، كتاباً بالفرنسية بعنوان : العمانيون ، حراس
جدد للخليج يتحدث عن دليل فاسكو دى كاما على أنه^(١) أحمد بن
ماجد وليس كانا ولا كانا !!

ينظم مؤتمر دولي للتاريخ تحضره أزيد من مائة دولة يعالج في صدر
ما يعالجه من مواضيع ، موضوعاً ربما نشعر ونحن نسمعه ببعض
الاستغراب لأنه يبدو لأول مرة مرتبكاً ومربكاً ، مع أنه من صميم
ما يحتاج إليه النقاش اليوم بين المؤرخين وهذا الموضوع هو : « مستقبل
الماضي » (Futur du passé) .

الهدف من فتح هذا النقاش هو مراجعة ما روى في الماضي عن
بعض الأحداث وعن بعض الشخصيات مما أثبتت الحجج والوثائق على
أنه كان مجرد فرية لاصلة لها بالحقيقة ..

أمامنا فعلاً عدد من الرويات مما كنا نعتقد قبل أعوام أنها من
صائب القول فإذا بنا بعد أن استكملنا معلوماتنا من المشرق والمغرب ،
أتضح أن تلك الرويات في حاجة ماسة إلى التصحيح .

فكم من وقائع حاسمة أهملها الماضي ! وكم من معلومات سخيفة
قدمت على أنها القول الفصل ! ومن هنا تظهر أهمية مؤتمر « مستقبل
الماضي » ..

إن ابن ماجد بما يحمله معه من تاريخ حافل كان جديراً بهذا
البرور .. وجديراً برد الاعتبار إليه ، ومن هو مؤهل في العالم كله
ليقوم بهذا الواجب غير أبناء جلدته من أبناء المنطقة الذين يظنون
مدينيين لابن ماجد فيما كتب عن ديارهم ، عن سواحلهم ، عن

بحورهم ، وعن علومهم .. عن عبقريتهم بما فيهم المتواجدون على شاطئ الخليج العربى أو خليج عمان والمحيط الهندى .. وسائر افريقيا الشرقية . من كل أولئك الذين تظل جغرافيتهم بتراء شرها إن لم تعتمد على إفادات ابن ماجد .. مَنْ هو جريرٌ فى العالم ليقوم بهذا الواجب غير الرجال الذين يعيشون على نفس الأرض التى نشأ فيها ؟ غير الذين يستظلون بنفس السماء التى كان بها يستظل ، وغير الرجال الذين نَبَّهتهم صيحات ابن ماجد وانذاراته للخطر المحدق بهم من الطامعين فى خيراتهم .

وإنَّ من حقِّنا فعلاً أن نطالب المسؤولين عن التربية والثقافة فى هذه البلاد أن يخصصوا يوماً من السنة نطلق عليه : « يوم ابن ماجد » يمكن أن يكون « منتصف شهر سبتمبر من كل سنة » لأنَّ ذلك التاريخ يصادف بالضبط اليوم الذى أتم فيه ابن ماجد مؤلفاً له مهماً بعنوان : « السَّبْعِيَّة » كتبه وهو فى جلفار :

تمت لشهر الحج فى جلفار
أوطان أسد البحر فى الأقطار
يوم الغدير أبرك الأيام
إذ خصَّ بالإحسان والصيام
وكان فى الهجرة يامولاي
سته وستين وثمان مايه

يكون ذلك اليوم ملتقى للمبدعين والفنانين والكتاب والمحققين والذين ينشدون الحقيقة من كلِّ مكان .. ملتقى للمهتمين بعلوم البحر وتطور الأساطيل ..

علينا أن نعرف بقدر ابن ماجد فنرفع عنه ما ألقى به خطأ أو
قصداً .. يكفي أنه عاش في حياته مهضوم الحق ، علينا أن نستحضره
وهو يخاطب مواطنه بالأمس :

فإن تجهلوا قدرى - حياتى - فإنما
سيأتى رجال بعدكم يعرفوا قدرى !

د . عبد الهادى التازى

باريز - فال دو كراس

١٨ - ٧ - ١٩٨٤

ملحق

ملحق يتضمن معظم ما في «السُّفالية» و«المعلّية» و«التائية»
للربان أحمد بن ماجد مما يتصل بالوجود الأجنبي وآثاره في ساحل
افريقيا الشرقية وخليج عمان والقارة الهندية :

(ملاحظة)

[يلاحظ أن أسلوب ابن ماجد وخاصة في الشعر لا يهتم لابقواعد
نحوية ولا بصياغة لفظية ، إنّما يهتم فقط بإيصال المعنى .. ولا بدّ أننا
سنقرأ أيضاً من خلال الشعر عدم تردد ابن ماجد في النقل عن
المعلومات التي بلغته عن الافرنج ، الأمر الذي يؤكد أمانته العلمية] .

ورقة ٩٢ (ب) سطر ٤ محاولات سنة ٩٠٠ هجرية = ١٤٩٥ م

زلّوا بها^(١) الإفرنجي علق الموسم

في عيد ميكال^(٢) بالتوهم

قام عليهم موج تلك الروس

في سُفالة بقي معكوس

وانقلبت أدقّالهم^(٣) في الماء

والسفن فوق المايا خائئ

غرقى يرون بعضهم لبعض

وكن عارفاً موسم تلك^(٤) الأرض

(١) أى منطقة (سُفالة) .

(٢) يوم القديس ميكايل أو ميخائيل وتوافق ذكراه ٨ - ٢١ نوفمبر ..

(٣) أدقال جمع دقل ، سهم السفينة .

(٤) القصد إلى الرياح الموسمية (Moussons)

ورقة ٩٣ (أ) س ١٠ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٣١ حول
هيمنة البرتغال على المعمور

من طرف الافرنج والمغرب
افهم كلامى واعتبر يا صاحبي
وزادناه بعلمنا الفرنجى
وصار يحكمهم بذاك النهج
وساحل البر وكل جزره
يحكمهم للبرتقالى شهره
إلى حدود بحر الوقاق
ومن هناك القمر^(١) يارفاق
جزيرتى عنهم أمام
أهل الفرنج خبر التمام

ورقة ٩٣ (ب) سطر ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ١٢ حول
النزول النهائى للبرتغال فى الهند ، ويلاحظ إهمال ابن ماجد لوصول
دى كاما فى رمضان ٩٠٦ = أبريل / مايو ١٧٩٨ .

ورجال كاليكوت^(٢) خذ الفائدة

لعام تسعمائة وست زائدة

(١) من الأسماء التى عرفت بها جزر القمر قديماً : الوقواق .

(٢) هى بالذات قالقوط .

وباع فيها واشترى وحكما
والسامرى^(١) برّطله وظلما
وصار فيها مبغض الاسلام
والناس في خوف واهتمام
وانقطع المكي عن أرض السامرى
وشد جردفون^(٢) للمسافرى
وخبرنى بحملة الفرنجى
من جانب السودان شط اللجى
وهو الذى قد قهر المغاربة
وأندلس فى حكمه مناسبة
ورقة ٩٣ (ب) سطر ١٤ حول وجود (فينيزيا) من أجل التوابل
كذلك !

واعلم بأن البندقى ياصاحب
فى غاية القوة فى المراكب
سوق الجميع قرب بحر الروم
وأكثر طول منهم ياقوم
وصفتهم حقا وهذا جهدى
وليس أدرى مايكون بعدى !

(١) السامرى ويجمع على سوامر ، لقب حاكم إمارة كاليكوت فى الهند .
(٢) الرأس الأحمر .
(٣) يقصد بالمدخل رأس «الرجاء الصالح» .

ورقة ٩٤ (أ) سطر ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٥ حديث عن
العامين الضائعين قبل النزول النهائى

وبينه ومعدن السفلى
مغارة قيل بها أو خالى
مدخلها للبحر من المغرب
قد صح هذا عن ذوى التجارب
أقوامها محمرة الألوان
من شدة البرد هناك يا خايه
تجروا عامين كامـلين
فيها ، ومالوا الهند باليقين
من حاول السين يخاف مالا
مايرتجى وإلا ترك الامالا
ورجعوا من عندهم للزنج
فى هذه الطريق الأفرنج
وبعد ذا فى العام تسعمائة
وست جاعوا الهند يا خايه
واشتروا البيوت ثم سكنوا
وصاحبوا وللسوامر ركنوا
والناس تضرب فيهم الظنونا
ذا حاكم أو سارق مجنونا
وتضرب السكة وسط البندر
بندر كاليكوت بين السفر

ياليت شعري ما يكون منهم
والناس معجبين من أمرهم !

ورقة ٩٤ (ب) سطر ١٣ - ٢٥ - ٢٦ حول بعض مانقله
الافرنج مما يدل على أمانته العلمية .

أسنده أيضا لنا الافرنج
البرتقال وله ذا ملجى
أما الفرنج بعد هذا أذنوا
فى ذى الطريق بعد ماتمكنوا
أول مايجرون فى خروجهم
من الفرنج - قيل لى - ولوجهم

ورقة ٩٥ (أ) س ١١ - ١٢ حول الروم (بيزنطة)

لو كنت أحيا لزمان الصلح
كتبت علماً يستحق المدح
فى جملة أرض الروم الشمالية
وثم للصين ولا كفاية

ورقة ٩٥ (ب) سطر ٢٩ حول بعض مانقله من الافرنج كذلك مما
يدل على أمانته العلمية .

وقالت الافرنج بالتحقيق
إنا كشفناها على الطريق

أى إن الافرنج ذكروا أنهم وقفوا على الجزر السالفة الذكر وهم فى
طريقهم إلى الهند .

ورقة ٩٦ (أ) سطر ١٥ حول بعض مانق. عن الافرنج أيضاً مما يدل على أمانته العلمية .

وسوف تزداد بهذى الطريق

من اليزنج معرفة ومحدد

الورقة ١٠٤ (أ) سطر ١١ من (المعلقة) عن الحديث عن ميناء ملاقة والأثر الذى خلفه الوجود الأجنبى فى أخلاق السكان :

تأتى لك الناس فبئس الناس !

لم يُعرف قط لهم أساس

يزوج الكافر مسلمات

ويأخذ المسلم كافرات !

إن قلت «كفار» فما هم كفره

أو قلت «إسلام» فغير مخبره

عندهم السرقة قد سئوها

ما بينهم فليس ينكروها !

ويأكل الكلب لحم المسلم

ما بينهم فليس فيهم محتم

ويشربون الخمر فى الأسواق

ولا يصلون على الإطلاق !

الورقة ١٠٤ (ب) سطر ٥ والورقة ٥ س ١١ - ١٢ من القصيدة التائية وهى فى وصف انجارى والقياس فى البحر

سرت نسمة الفردوس من أرض مكة
بريح الصبا فاشتقت السير جلبتى
فيا نعم تلك الأرض اربط حولها
بأمن فيا نعم هنا ومسرتى
على نشر الاعلام ونفط وزينة
وحمد وشكر لله يفرحتى

تذييل :

وقفتُ في بحثٍ للأستاذ خوان فيرانيط أستاذ العلوم العربية بجامعة
برشلونة بعنوان :

« هل هناك أصل عربى إسباني لفن الخرائط البحرية ؟ »

نشر بمجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمديرى العدد
الأول - السنة الأولى سنة ١٩٥٣ ، بتعريب الأستاذ مختار العبادى .
وقفت على البيتين التالين منسوبين لابن ماجد مما لم أجدهما فى شعره .

وقيل كان فى قديم الدهر
مراكب الافرنج تأتى القمر
أيضاً ويأتون لبر الزنج
والهند نقلاً عن ذوى الافرنج

مصادر ومراجع بالعربية

أوزيران صالح : الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ، ترجمة وتعليق عبد الجبار ناجي ، جامعة البصرة ، سلسلة ٢٧ ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٧٩ .

باروش (De Baros) : آسيا . . . العشارية الثالثة ، الجزء الأول ، الفصل الثالث ، الحملة البرتغالية إلى عُمان في القرن ١٦ ، ترجمة سفارة سلطنة عُمان ، باريز .

بدر الدين عبد الرحمن : العرب في شرقي إفريقيا ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، مارس ١٩٨٠ .

التاجر على : الرُّبَّان أحمد بن ماجد ، دفاع وتقييم ، مجلة العرب ، دار اليمامة - الرياض رمضان ١٣٩٠ = نوفمبر ١٩٧٠ - براءة ابن ماجد ، جريدة الإتحاد ، الإمارات العربية المتحدة ، عدد ١٩ نوفمبر ١٩٧٩ .

التازي عبد الهادي : سفارة أنطوني تشيرلي إلى المغرب وعلاقاتها بالتدخل الأجنبي في منطقة الخليج ، بحث قدّم إلى مؤتمر الدراسات التاريخية لشرقي الجزيرة العربية - الدوحة : مارس ١٩٧٧ .
تجاوب الأدب المغربي مع نوازع الخليج العربي ، الكتاب الأول ١٩٧٧ .

الصلات التاريخية بين المغرب وعمان وزارة
التراث القومي والثقافة سلسلة تراثنا عدد
٢٢ - غشت ١٩٨١ ، المطبعة الشرقية
ومكتبتها - سلطنة عمان .

التازي عبد الهادي : الأسطول المغربي عبر التاريخ ، مجلة البحث
العلمي ، عدد ٣٣ - ١٩٨٣ - حزب
الجو ، مجلة دعوة الحق العدد ٢٣٥ جمادى
الثانية ١٤٠٤ = أبريل ١٩٨٤ - وقعة
وادي المخازن الصغرى . الموجز في تاريخ
العلاقات الدولية للمغرب .

التمجروقي علي : النفحة المسكية في السفارة التركية ترجمة
وتعليق الكونظ دوكا ستري ، باريز
١٩٢٩ .

الحموي : معجم البلدان ، طبعة بيروت ١٣٧٤ =
١٩٥٥ .

ابن حيّان : المقتبس (الخامس) نشر ب : شالميتا - في .
كورينطي - م . صبح . المعهد الأسباني
العربي للثقافة ، مدريد - كلية الآداب
بالرباط ، ١٩٧٩ .

ابن خلدون : المقدمة ، طبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦ .
ذ . خوان برينيط : هل هناك أصل عربي إسباني لفن الخرائط
البحرية ، تعريب ذ . مختار العبادي ، مجلة
المعهد المصري ، مدريد ١٩٥٣ ج ١
عدد ١ .

الزركلى خير الدين : الأعلام : مادة العيدروس - الشاذلى ..
الزبانى أبو القاسم : الترجمانة الكبرى التى جمعت أخبار العالم برأ
وبجراً (المخطوطة) .

د . الطيبى أمين : الملاحة البحرية ، مجلة العربى الكويتية ، صفر
١٤٠٤ - دجنبر ١٩٨٣ .

د . عبد العليم أنور : الفوائد فى أصول علم القواعد ، مجلة تراث
الانسانية ، المجلد الخامس ١٩٦٧ .

عطية أحمد محمد : أحمد بن ماجد ، مجلة الوثائق البحرينية سنة
أولى عدد ٢ - يناير ١٩٨٣ .

عوض الله الشيخ

الأمين : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان
الغربى فى عهد السلطتين الاسلاميتين مالى
وسنغاي ، دار البيان العربى ١٣٩٩ =
١٩٧٩ م .

فيران ج : شهاب الدين بن ماجد ، دائرة المعارف
الاسلامية ، الطبعة الأولى من ترجمة
الشتناوى ، دار المعرفة بيروت .

قلعجى (قدرى) : الخليج العربى ، دار الكتاب العربى ، بيروت
١٩٦٥ .

كراتشكوفسكى : الجغرافيون والرحالة العرب فى المخطوطات
العربية ، طبعة أولى ١٩٤٥ - تاريخ الأدب
الجغرافى العربى .

كورأ (Gour A) : عُمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصبيراً ، ترجمة
محمد أمين عبد الله ، ١٩٦٦ سلطنة عمان ،
وزارة التراث القومى والثقافة .

لوريير : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، طبع على
نفقة أمير دولة قطر .

ابن ماجد أحمد : كتاب الفوائد فى أصول البحر والقواعد ،
تحقيق ابراهيم خورى وعزة حسن ،
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق
١٣٩٠ = ١٩٧١ .

ثلاثة أزهار فى معرفة البحار ، تحقيق ونشر
ثيودور شوموفسكى (SHUMOVSKY) ترجمة
د . محمد منير مرسى ، الناشر عالم الكتب
القاهرة ، ١٩٦٩ .

الماجد عبد الله : الربان النجدى أحمد بن ماجد ، مجلة
(العرب) دار اليمامة ، الرياض ، السنة
الثالثة ، الجزء الأول ، رجب ١٣٨٨ =
تشرين الأول ١٩٦٨ .

ماركوليوت

(NARGOLIOUTH) : الشاذلية ، تعريب أبوريعة ، دائرة المعارف
الاسلامية .

مجلة رأس الخيمة : ابن ماجد هل مُتَّهَم أم برىء ، عدد مارس
١٩٨٠ .

المسعودى : مروج الذهب (النص العربى) المطبعة
الملكية ، باريز .

الناصرى : الاستقصا ، طبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء
١٩٥٤ .

النهرالى : البرقى اليمانى فى الفتح العثمانى ، منشورات دار
الجماعة / الرياض ، أشرف على طبعه حمد
الجاسر التمثيل والمحاضرة بالأبيات المفردة
النادرة ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة ، تحقيق د . عبد الهادى
التازى طبعة بيروت ١٣٨٣ = ١٩٦٤
وطبعة بغداد ١٩٧٩ .

صبحى أحمد محمود : نظرية الامامة ، دار المعارف ، مصر
١٩٦٩ .

فارينا أنطوان دياز : العرب والمسلمون فى عصر الاكتشاف
البرتغالى ، بحث قدم لمؤتمر تاريخ البحرين ،
دجنبر ١٩٨٣ .

ستودارد لوثرروب
الأمريكى

: حاضرمالعالم الاسلامى ، نقله إلى العربية الأستاذ
عجاج نويهض ، تعليقات الأمير شكيب
أرسلان ، مطبعة الحلبي - مصر ١٣٥٢ .

سزكين فؤاد : محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والإسلامية

١٩٨٤ - معهد تاريخ العلوم العربية
والإسلامية ، فرانكفورت ، البيضاء ، طبعة
ثانية ١٩٦٥ .

د . سويس محمد : تقديم وتحليل لكتاب جامع المبادئ

والغايات ، مجلة معهد المخطوطات العربية ،

الكويت ١٤٠٢ = ١٩٨٢ .

شقيت أحمد رمضان : جزر القمر ، مجلة الفيصل ، عدد

١٤٠١/٥٣ = ١٩٨١ الرياض ، المملكة

العربية السعودية .

شهاب حسن صالح : أضواء على تاريخ اليمن البحري ، دار العودة ،

بيروت ، طبعة ثانية ١٩٨١ .

الشيخ خزعل ، حنظل : تاريخ الخليج في الوثائق البرتغالية ، مجلة

دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد

١٩٨٣/٣٣ .

وزارة التربية والتعليم

وشؤون الشباب (سلطنة

عمان) : تعليق على كتاب أحمد بن ماجد ، ثلاث أزهار

في معرفة البحار .. ١٩٨٣ .

- BARROS** : DA ASIA 1777
- L. DE CAMOES** : OS LUSIADAS-CASA DA MOEDA DE 1572-
- CASTANHEDA** : Histoire de descrobimento e conquista. 1552.
- DE CASTRIES** : S.I.H.M., Série 2, t.2.
- FERRAND (G)** : Relations de voyages et textes géographiques arabes persans et turkos relatifs à l'extrême Orient, Paris 1913-1914.
- FERRAND (G.)** : Le Filote arabe de vasco de Gama et les instructions nautiques arabes du XV^esiècle au XVI^e siècle. (Annales de géographie, 1922).
- FERRAND (G.)** : Shihâb al-Dîn, Ency. Islam, 1934.
- GERARD (Bernard)** : Les comores. Editions de debraise, 1976.
- ISSIFOU (Z.D.)** : L'Afrique Noire dans les relations internationales KHARTHALA.
- KHALDONNE (IBN)** : Al Miqaddima: Traduction nouvelle, préface et note par Vincent Monteil. Sindbad, Paris 1978. (Discours sur l'Histoire Universelle).
- GOES de Damião** : Chronica de Serenissimo, 1566.
- MACAOUDI** : Les prairies d'or. Texte et traduction par C. Barbier de Meynard et Pavet de courteille T.2. Paris, Société Asiatique. Imprimerie IMPERTALE.
- S. MAQBUL** : Ahmed Ibn Mâjjid.-Encyclopédie de l'Islam, 1965.
- MOURRE (MICHEL)** : Dictionnaire et Histoire Universelle T.1.p.330.
- RICARD (Robertp.)** : De CENIVAL, Chantel de LA VERONNE.-Les sources inédites de l'histoire du Maroc.
- RICCARD (Robert)** : F.R. Joao de Sousa. Hesp. 1949.

- ROLLAND (J.F.)** : Les Portugais à la conquête de l'Asie. 1956, 262 p. (CLUB FRANCATS DU LIVRE).
- SEDILLOT** : Traité des instruments Astronomiques... Paris.
- SOUSA Joao** : Documentos Arabicos. Lisboa, 1788.
- Tibbetts, GR.** : Arab Navigation in the indian ocean before the coming of the portuguese London, The Royal Asiatic Society of Great Britain and Irland, Reprinted; 1981.
- WALTER DE GRAY BIRCH** : The commentaries of the great Alonso d'ALBOQUERQUE trad. From Portugal in 1774. London, The Hakluyt Society.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	تمهيد
٩	مكانة ابن ماجد
١٠	خبر النهروالى عن ابن ماجد
١٧	وثائق تاريخية
٢١	عادة البرتغال فى الكشف عن أسماء مساعديهم بالمغرب والمشرق
٢٢	هل كان خبر النهروالى ضمن التحامل على العرب
٢٤	مخطوط آخر للنهروالى هدية إلى ملك المغرب
٢٧	صورة لصفحة من الديوان
٣١	ابن ماجد والتراث المغربى
٣٢	وثائق تاريخية
٣٦	براءة ابن ماجد من مزاعم النهروالى وغيره
٤٩	صلة ابن ماجد بالبرتغال
٧٠	خاتمة
٧٩	ملاحق
٨٦	مصادر ومراجع بالعربية والإنجليزية

حقوق الطبع محفوظة
لدى وزارة التراث والثقافة
ص.ب : ٦٦٨ - الرمز البريدي : ١١٣
مسقط - سلطنة عمان

رقم الإيداع ٢٠٠٥/٥٥